

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقفا

لأخبار دول المغرب الأقصى



الدولة المرينية



الجزء الثالث



محقق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

الحبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب

وذكر أوليتهم وأصلهم



اعلم أن العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبقتين ، الطبقة الاولى هى التى كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى ، والطبقة الثانية هى التى كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الاقصى ، وهؤلاء هم الذين تعلق الغرض الان بذكرهم .

فاعلم أن جيل زناتة فى المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف العين والاثر وهم لهذا العهد ءاخذون من شعار العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب فى الارض وايلاف الرحلتين وتحطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفة ، وشعارهم من بين البربر اللغة التى يتراطون بها وهى مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ، ومواطنهم فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب

فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى أن عامة تلك القرى الجزيدية بالصحرء منهم ، قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلالين لهذا العهد ، وأذعنوا لحكمهم ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخر ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء طواغيت بمجالات القفر من فيجيج الى سجلماسة الى ملوية ، وربما يخطون فى ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة كانت فيهم فى تلك العصور لمحمد بن ورزير بن

فكوس بن كرماط بن مرين ، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبى الجيل
وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة
وعسكر وخمسة أبناء غلات ، وكان يقال لهم بلسان زناتة ثيربعين ومعناه
الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزير لما هلك قام بأمره فى قومه ابنه حمامة بن
محمد وكان الأكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده
ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة فى بعض الحروب (*)
التي كانت بين عبد المومن والمرابطين

ثم قام بأمر بنى مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد
الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبى بكر ولم يزل مطاعا فيهم
الى أن استغفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الأرك بالاندلس فشهدوها وأبلوا
فيها البلاء الحسن ، وأصاب محيو بن أبى بكر يومئذ جراحات هلك منها
بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رئاسة عبد الحق
ابنه من بعده وبقيتها فى عقبه ما نذكره ان شاء الله .



الخبر عن دخول بنى مرين أرض المغرب الاقصى

واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك



كان السبب فى دخول بنى مرين لهذا القطر المغربى أنه لما كانت وقعة
العقاب بالاندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حمامة
المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الرباء العظيم
الذى تحيف الناس الاقليلا وهلك الناصر سنة عشر بعدها فباع الموحدون ابنه
يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لا يحسن التدبير ، وشغلته مع ذلك
أحوال الصبا ولذا ان الملك عن القيام بأمر الرعية فتضاشرت هذه الاسباب على
الدولة الموحدية فأضعفتها لحيثها وأمرضتها المرض الذى كان سببا لحيثها ،

(*) انظر هذه الحروب فى الذخيرة السنينة صفحة ١٨ وما بعدها طبع الجزائر

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب إفريقية الى سجلماسة ،
يتنقلون فى تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تتألم
الدولة بهزيمة ولا يؤدون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا
حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد
وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوله زمان الربيع والصيف
فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون اليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة
أنعامهم وشاءهم حتى اذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم باكرسيف ثم شدوا
الرحلة الى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين

فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى
اذا أطلوا على المغرب من ثناياه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله
وفئت حماته وأبطاله وعريت من أهله أوطانه وخفف منها سكانه وقطانه
ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكثاف
فسيحة المزارع متوفرة العشب لقلة راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها
فأقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فأخبروهم بحال البلاد وما هى عليه من
الخصب والامن وعدم المحامى والمدافع ، فأغتنموا الفرصة وأقبلوا مسرعين
بنجعهم وحللهم وانتشروا فى نواحي المغرب وأوجفوا عليها بخيلهم وركابهم
واكسحوا بالغارات والنهب بسيطها ولجأت الرعايا الى حصونها ومعقلها وتم
لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله واتجاع مواقع طله ووبله.



الخبر عن رياسة الامير ابى محمد عبد الحق بن محيو المرينى

رحمه الله



لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن
أبى بكر بن حمامة بن محمد المرينى ، فكثر عيهم وضررهم بالمغرب وأعزل
داؤهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة
بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهز لهم جيشا

كيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابي على بن وانودين وكتب له الى صاحب فاس السيد أبى ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن يأمره بالخروج معه لغزو بنى مرين والابن خان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر على ذلك

واتصل الخبر ببني مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف وصمدوا الى الموحيدين فالتقى الجمعان بوادى نكور (*) فكان الظهور لبني مرين على الموحيدين فهزموهم وقتلوهم وامتلأت الايدى من أسلابهم وأمتعتهم ورجع الموحدون الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلى فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ثم زحف الامير عبد الحق فى ذى الحجة من السنة المذكورة بجموع بني مرين الى رباط تازة(*) حتى وقف بازاء زيتونها فخرج عاملها لحربه فى جيش كثيف من الموحيدين والعرب والحشد من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم فقتلت بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه

وجمع عبد الحق الاسلاب والخيول والسلاح وقسم ذلك كله فى قبائل بني مرين ، ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه : اياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم منها الثناء والظهور على أعدائكم



(*) وتبت المعركة بحفص الوادى ما بين رباط تازا والمقرمدة (الذخيرة السنينة ص ٢٧ طبع الجزائر)
 (*) راجع الذخيرة السنينة فى أخبار الدولة المرينية صفحة ٣١ طبع الجزائر

حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق

رحمه الله



لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدين حصل فى نفوس بنى عسكر ابن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضائق صدورهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم ، فخالقوا الامير عبد الحق وعشيرته الى مظاهرة الموحدين وأوليائهم من عرب رياح ، وكانت رياح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالعز والبداءة ، فأغراهم الموحدون يومئذ بنى مرين ليتصفوا لهم منهم واتفقت كلمتهم عليهم وسمعت بنو مرين بأقبال العرب والموحدين وبنى عسكر اليهم ، فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له : ما ترى فى أمر هؤلاء العرب المقلبين لنا ؟ فقال : يامعشر مرين أما مادمت فى أمركم مجتمعين ، وفى آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفى ذات الله اخوانا ، فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشئت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له : «انا نجددلك الان بيعة على السمع والطاعة وأن لا نختلف عليك ولانفر عنك أو نموت دونك فانهض بنا اليهم على بركة الله» فنهض الامير عبد الحق فى جموع بنى مرين فكان اللقاء بمقرية من وادى سبو على أميال من تافرطاست فكانت بينهم حرب بعد العهد بمنالها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس

ولما رأث بنو مرين ما وقع بأمرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت بايمانها أن لايدفن حتى يأخذوا بثاره فصمموا العزم لقتال رياح واستأنفوا انجد لقراءهم ، وصبروا صبرا جميلا فنصرهم الله على عدوهم فهزموا رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وشردوهم فى الشعاب والادوية ورؤوس الهضاب ، واحتروا على ما كان فى محلثهم من السلاح والخييل والاناث ، وقام بأمر بنى مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان على ما نذكره ان شاء الله



بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته



قالوا كان الامير عبد الحق المرينى مشهورا فى قومه بالتقى والفض
والدين ، موسوما بالصلاح وصحة اليقين معروفا بالورع والعفاف ، موه
فى سيرته بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويؤثر المساكين
ويحضى على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوف
وكانت قلبسوته وسراويله يتبرك بهما فى جميع احياء زناته ، وكانوا يحبه
فضلة وضوئه فيستشفون بها لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائم
طول عمره فى الحر والبرد لا يرى مفطرا الا فى أيام الاعياد ، كثير الذك
والاوراد لا يفتر عنها فى سائر الحالات متحررا لاكل الحلال لا يقتات الا
لحوم ابله وألبانها أو ما يعاينه من الصيد ، معظما فى بنى مريسن مطاعا فيه
يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه

حكى ابن أبى زرع عن حدثه من القات أنه قدم على أمير المسلمي
يعقوب بن عبد الحق فى وفد من أعيان فاس وقفائها وذلك فى رمضان سنة
ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ برباط الفتح يريد العبور الى
الاندلس برسم الجهاد قال : فجرى فى مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق
فقال الامير يعقوب « كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قسا
فعل واذا عاهد وفى لم يحلف بالله قط بارا ولا حاثا ولم يشرب مسكرا قط
ولا ارتكب فاحشة ، تضع الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليهن الولاد
وكان يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل واذا سمع بخبر صالح أو عابد قص
لزيارته ، واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم
وكان يجمع ذلك سببا لاغداه قاهرا لهم وما وجدنا الا بركته وبزكته من دعا ل
من الصالحين » .

قالوا : وكان الامير عبد الحق فى ابتداء أمره قليل الاولاد فرأى ذات ليلة فى
منامه كأن شعلا أربعة من نار خرجن منه فعلن فى جو المغرب ثم احتوين على

جميع أقطاره ، فكان تأويلها تملك بنيه الاربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي رآها عبد الملك بن مروان من بونه فى المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن ولى الخلافة أربعة من بنيه الوليد وسليمان ويزيد وهشام .
وكان للامير عبد الحق تسعة من الولد : ادريس وهو أكبرهم وقتل معه فى حرب رباح وعثمان ومحمد وأبو بكر ويعقوب وهؤلاء الاربعة هم الذين ولوا الامر بعده ، وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحو وزيان وأبو عياد وبنت هى العاشرة والله أعلم

الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

لما فرغ بنو مرين من حرب رباح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بنى أبيه بعد ادريس فعزوه بمصاب أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الامير أبو سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفنهما أقسم أن لا يرجع عن حرب رباح حتى يثار بمائة شيخ منهم فساد اليهم وأتخن فيهم حتى شفا نفسه وأذنوا الى الطاعة ولاذوا بالسلم ، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة
ثم ضعفت شوكة الموحدین وتداعى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم على ربوة الاضمحلال وتقلص ظل حكمهم عن البدو جملة وفسدت السابلة واختلط المرعى بالهمل

فلما رأى الامير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدین من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم الى القيام بأمر الدين والنظر فى مصالح المسلمين فأسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته ، فساد بهم أبو سعيد فى نواحي المغرب يتقرى مسالكة وشعوبه ويتبع تلولة ودرويه ويدعو الناس الى طاعته والدخول فى عهده وحمايته ، فمن أجابه منهم أمنه ووضع عليه قدرا معلوما من الخراج ، ومن أبى عليه نابذه وأوقع به قبايعه من قبائل المغرب هواة وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفستالة ثم سدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ، ثم

فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كناسة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ثم لما كانت سنة عشرين وبستمائة غزا بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناتة فأنخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذابة الناس بالغارات والنهب فى الطرقات

ثم فى سنة احدى وعشرين بعدها غزا عرب رياح أهل أزغار وبلادالهبط فأنخن فيهم حتى كاد يأتى عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتيال عليج له كان رباه صغيرا ، فشب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة فى منحره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وإيثار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح سالكا فى ذلك سنن أبيه رحمه الله



الخبر عن رياسة الامير ابى معرف محمد بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك الامير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق ، فاقتفى سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم من باديته ، وبعث الرشيد بن المامون صاحب مراکش قائده أبا محمد بن وانودين لحرب بنى مرين وعقد له على مكناسة فأجحف بأهلها فى المغارم ، ثم نزل بنومرين فى بعض الاحيان بنواحيها وأجلبوا عليها فنادى أبو محمد فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين ، وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج فاختلفا ضربتين هلك العليج باحدهما وجرح محمد بالاخرى فاندمل جرحه وصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ، ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكسفوا ورجع بن وانودين الى مكناسة مفلولا

وبقى بنو عبد المومن من أئناء ذلك فى مرض من الايام وتناقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المامون سنة

أربعين وستمئة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين ، وقطع أطعاهم عما سمت اليه من تملك المواطن فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الفرنج فنهضو سنة اثنتين واربعين وستمئة فى جيش كيف يناهز عشرين ألفا ، فسمع الامير أبو معرف بأقبالهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان اللقاء بموضع يعرف بصخرة أبى بياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر الفريقان ، ولما كان عشى النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الفرنج تحاملا فعثر فرس أبى معرف به ، وأمكنت العليج فيه الفرصة فاعتصمها وطعنه فمات ، فانهزمت بنو مرين وتبعهم الموحدون فاتخذوا الليل جملا وأسروا طول ليلتهم بحللمهم وعيالاتهم وأموالهم فأصبحوا بجبال غيائة من نواحي تازا فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا بكر بن عبد الحق على ما نذكره ، وكانت هذه الواقعة وهلاك الامير أبى معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وستمئة



الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله



هذا الامير هو الذى رفع من راية بنى مرين وسما بها الى مرتبة الملك وكتبه أبو يحيى وهو أول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد . بايعه بنو مرين بعد مهلك أخيه أبى معرف فى التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه من النظر لقومه : أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا منهم بناحية منه سوغهم إياها سائر الأيام طعمة لهم وأمر كل واحد من أشياخ بنى مرين أن يتركب الرجل ويستلحق الاتباع فحسنت حالهم وكثرت غاشيتهم وتوفرت جموعهم

استيلاء الامير أبى بكر على مكناسة

وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته



ثم سار الامير أبو بكر بمحلته فنزل جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبى زكرياء بن أبى حفص صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفي ولايته ، وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات الى أن أذعنوا لطاعته ، فافتتحها صلحا بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن ابن أبى العافية وبعثوا يبيعهم الى الامير أبى زكرياء الحفصى ، وكانت البيعة من انشاء أبى المطرف بن عميرة المخزومى وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيره ، ولّى القضاء لبنى عبد المومن بمدينة سلا ، ثم استقصوه بعدها بمكناسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة

ولما فتح الامير أبو بكر مكناسة أقطع أخاه يعقوب ثلث جبايتها جزاء له على واسطته وكان فتح مكناسة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ثم آتس الامير أبوبكر من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الالة لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى الخبر الى السعيد صاحب مراكش بتغلب الامير أبى بكر على مكناسة وصرفها لابن أبى حفص فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف أقطع الامر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم الا قرارة مراكش وما حولها بعد امتداد ظل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس

ثم نهض السعيد من مراكش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبني مرين أولا ، ثم تلمسان وبغراسن بن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخر

ولما وصل الى وادى بهت عرض جيوشه وميزها واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو بمكناسة فخرج وحده ليلا يتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد وجموعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد به

فرأى مالا طاقة له به ورأى من رأى أن يتخلى للسعيد عن البلاد ولا ينجزه الحرب فلحق بمكناسة واستدعى بنى مرين من أماكنهم التى عين لهم ، فتلاحقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد الريف فتحصنوا بها

وتقدم السعيد الى مكناسة فتلقاء أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم فعفا عنهم ، ثم سار الى فاس فنزل بظاهرها من ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فكرم عنهم وأبى ، ثم ارتحل الى رباط تازا فنزل بظاهرها وهناك بعث اليه الامير أبوبكر يبعثه فقبلها وكتبه ولقموه بالامان وكان فيما خاطبه به الامير أبوبكر أن قال له : « ارجع يا أمير المؤمنين الى حضرتك وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتج لك تلمسان » فشاور السعيد خاصته فى ذلك فقالوا : « لا تفعل يا أمير المؤمنين فان الزناتى أخو الزناتى لا يسلمه ولا يخذله وأنا نخاف أن يصطلحا على حربك » فأسعفهم وكتب الى الامير أبوبكر يقول له : « أقم بموضعك وابعث الى حصنة من قومك » فأمدّه بخمسمائة من بنى مرين وعقد عليها لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى ابن حمامة

وتقدم السعيد الى تلمسان فكان من هلاكه على قلعة تامزردكت ما قدمناه فى أخبار دولته ، وكان الامير أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا الفتك به غيرة ونفاسة عليه فدس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطوا عليه من غدره فارتحل الامير أبو بكر عنهم الى بنى يزنانس وكانوا نازلين يومئذ بعين الصفا فأقام هنالك معهم حتى رجعت اليه الحصنة التى كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله وافتراق جموعه فانتهاز الامير أبو بكر الفرصة فى فل الموحدين ولعترضهم بأكرسيف فاستلبهم وانتزع الالة من أيديهم وأدرك اليه كنية الفرنج والناشبة من الاغزاز ، واتخذ المركب الملوكى من يومئذ ثم أغد السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فافتحها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة



استيلاء الامير أبى بكر على فاس ويعة أهلها له



لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يد بنى عبد المومن وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بنى عبد المومن فأتانخ عليها الامير أبو بكر بخيله ورجله وتلطف فى مداخلة أهلها وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم ، فاجابوه ووثقوا بهده وغناؤه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتحال الدعوة الحفصية بأمره وبذوا طاعة بنى عبد المومن يأسا من صريخهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالى ونشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك المقدة والبركة التى يتعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة

ودخل الامير أبو بكر مدينة فاس زوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة بعد موت السعيد صاحب مراکش بشهرين ، ولما دخل الامير أبو بكر قصبة فاس أمن السيد أبا العباس عامل الموحدين بها وأخرجه من القصبة بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يلقونه الى مأمته فأجازوه وادى أم الربيع ورجعوا .

ثم نهض الامير أبو بكر الى منازل تازا وبها يومئذ السيد أبو على بن محمد أخو أبى دبوش فانزلها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد ثغورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق زباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة واستقامت له الامور ، وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول فى السائط وعمارة القرى والمداشر وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلح أمر الناس واغتبوا بولايته

انتفاض أهل فاس على الأمير أبي بكر ومحاصرته إياهم

لما استولى الأمير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا نهض في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وستمائة إلى معدن العوام من بلاد فازاز لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستخلف عنى فاس مولاه السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الأمير أبو بكر لما فتح فاسا استبقى من كان فيها من عسكر بني عبد المومن من غير نسبهم على الوجه الذى كانوا عليه من الخدمة مع الموحدين ، وكان من جعلتهم طائفة من النصارى نحو المائتين ، وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجى فكانوا من حصّة السعود هنالك ، فوَقعت بينهم وبين شيعة الموحدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك بالسعود وتحويل الدعوة إلى المرتضى فاجتمعوا إلى القاضى أبى عبد الرحمن المغلبى وفأوضوه فى ذلك فوافقهم على رأيهـم ، فاستدعوا شريدا وقالوا له : «تقتل هذا الاسود وتضبط البلد حتى نكتب إلى المرتضى فيبعث إلينا من يقوم بأمرنا» فأجابهم إلى ذلك وكان ميله إلى الموحدين وهواه معهم لكونه صنعتهـم وكان الذى مشى فى هذه الثورة وتولى كبرهاـ المشرف ولد القاضى المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبى طاط وولده .

فلما كانت صبيحة الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة طلع الأشياخ المذكورون إلى القصبة للسلام على السعود على عادتهم فى ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه ببعض المحاورات فغضب وانتهرهم فوثبوا به ونادوا بشعارهم وكان شريد الفرنجى واقفا فى عسكره أمام القصبة قد واطأهم على ذلك فافتحم على السعود فقتله وقتل معه أربعين من رجاله واحتز العامة رأسه ورفعوه على عصا وطافوا به فى أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فأنتهوه وسبوا الحرم ونصبوا النصرائى لفضط البلد وبعثوا ببيعتهـم إلى المرتضى صاحب مراكش واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو منازل بلاد فازاز فأفرج عنها وأغذ السير إلى فاس فأنانـ عليها بساكره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها .

وبعث أهل فاس الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لكشف ما نزل بهم حيلة ولا وجها ، سوى أنه استجاش على الامير أبى بكر يغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان وأمله لكشف هذه النازلة عمن انجاش الى طاعته فأجابه يغمراسن الى ذلك وطمع ان يكون ذلك سببا له فى تملك المغرب وسلما للصعود الى ذروة ملكه فاحتشد لحرركه ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير أبى بكر عن فاس وأهلها .
 واتصل بالامير أبى بكر خبر نهوضه اليه لتسبعة أشهر من منازلته فاسا ، فجير الكائب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقبه بسوادى ايسلى من بسيط وجدة فتراحف القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بنى عبد الواد

ثم انكشفت بنو عبد الواد ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان بمراس طمرة ولجام وترك محلته بما فيها فاحتوى عليها الامير أبو بكر وانكفأ راجعا الى فاس للاخذ بمخنتها فوصل اليها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة وأناخ عليها بكلكله واستأنف الجدد وأرهدف الحد وشد فى الإحصار وأبى أهل فاس من اغابة المرتضى وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة بنى مرين فسألوا الامير أبا بكر الامان فيذله لهم على غرم ما أنفقوا له بالقصر من المال يوم الثورة وقدره مائسة ألف دينار فتجملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور فأقام بها الى رجب الموالى له وطالبهم بالمال فسوفوه وتلوا فى المقال.

فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة من أشياخها وأمائتها وأنفلتهم بالحديد وطالبهم بالمال والامان الذى اتهبوه من القصر فقال له شيخ يعرف بأبن الحبا : « انما فعل الذنب مناساة فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ ولو فعل الامير ما أشير به عليه لكان صوابا من الرأى » فقال : « وما ذلك؟ » قال : « تعطل الى هؤلاء الفرس الستة الذين شنعوا فى الفتنة فتأخذ رؤوسهم وتشردهم بهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بغرم المال » فقال : « لعمري لقد أصبت »

ثم أمر بالقاضى المغيلى وابنه وابن أبى طاط وابنه وابن جشسار وأخيه
 ققتلوا ورفعت على الشرفات رؤوسهم وأخذ الباقيين بغرم المال طوعا وكرها
 قال ابن خلدون : « فكان ذلك مما عبد رعية فأس وقادها لاحكام بنى مريـن
 وضرب الرهب على قلوبهم فخشعت منهم الاصوات وانقادت منهم انهم ولم
 يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يدفى فتنة» وكان مقتل النفر المذكورين خارج
 باب الشريعة يوم الاحد الثامن من رجب المذكور



استيلاء الامير ابى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك



لما أكمل الله للامير أبى بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بنى مريـن
 بها رجع الى ما كان فيه من منازل بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة
 واقضى مغارمهم وحسم علل الثائرين بها ، ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا
 ورباط الفتح سنة تسع وأربعين وستمائة فملكها وتاخم الموحيدين بغرها ،
 واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك
 النغر وضم الاعمال اليه

وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى بمراكش فأهمه الشأن وأحضر الملا من
 الموحيدين وفأوضهم واعتزم على حرب بنى مريـن وسرح العساكر سنة خمسين
 وستمائة فأحاطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابی
 عبد الله بن يعلو من مشيخة الموحيدين ثم أجمع المرتضى النهوض بنفسه الى
 بنى مريـن فبعث فى المدائن والقبائل حاشرين فأهرعت اليه أمم الموحيدين
 والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وستمائة
 فى نحو الثمانين ألفا ، ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحي
 فاس وصمد اليه الامير أبو بكر فى عساكر بنى مريـن ومن اجتمع اليهم من
 ذويهم

والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مريـن الجـلاد فأختل مصافـالموحدين وانهمزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولا ، واستولى بنو مريـن على معسكره واستباحوا سرادقه وانتهبوا فساطيطه وغنموا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر ، وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده ، وفي القرطاس أن انهزم جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جولان فرس بين أخيتهم ليلا فحسبوا أن بنى مريـن قد أغاروا عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء والله أعلم .

ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميتها من بنى جابر عرب جشم واستلحم أبطالهم والآن من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوئب على الامر فـدس لابنه أبى حديد مفتاح ابن أبى بكر بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين وستمئة والله تعالى أعلم



استيلاء الامير ابى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة



لما كانت سنة خمس وخمسين وستمئة نهض الامير أبو بكر الى محاربة يغمراسن بن زيان وسمع به يغمراسن فنهض اليه أيضا ، فكان اللقاء بأبى سديط فاقتلوا وانهمز يغمراسن واعتزم الامير أبو بكر على اتباعه ففناه عن رايه فى ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة كانت له من بعض أهلها وعورة أطمعته فى ملكها فأسرع الامير أبوبكر السير بجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن اليها بيوم ، ثم جاء يغمراسن حتى نزل خارجها بباب تاحسنت وسقط فى يده

ويش من غلبة الامير أبى بكر عليها ودارت بينهما حرب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق بن أخى الامير أبى بكر ، وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربى وجعل مسلحة الجند بها لنظر أبى يحيى القطرانى وملكه قيادتهم وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم .



وفاة الامير ابى بكر رحمه الله



لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سجلماسة أقام بفاس أياما ثم نهض الى سجلماسة أيضا متفقدًا لثغورها فانقلب منها عيلا ووصل الى فاس فتوفى بقصره من قصبتها أواسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة ودفن داخل باب الحيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبى محمد الفشتالى حسبما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما ذكره



الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن ابى بكر بن عبد الحق رحمه الله



لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتمل العامة من بنى مرين على ابنه أبى حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا فى خدمته ، ومالت المشيخة وأهل العقد والحل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عند مهلك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أسرع للحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر ، وأحسن عمر بميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأغراء أتباعه بالفتك بعمر فاعتصم بالقصبة ، ثم سعى الناس فى الاصلاح بينهما فتفادى يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على أن تكون له بلاد تازا وبطوية وملوية التى كان أقطعه اياها أخوه من قبل ، فانفصلوا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهراً الى أن غلب عليه عمه المذكور حسبما نقص عليك

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بنى مرين على الاطلاق
وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف
وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بنى عبد الحق وكانت
أمه واسمها أم اليعمن بنت علي البطوى رأت وهى بكر كان القمر خرج من
قلها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها
فسار الى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقصها عليه فقال ان صدقت
رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق
عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بنى مرين
وعذلوهم فيما كان منه من التخلي عن الملك وحملوه على العود فى الامر
ووعده من أنفسهم المظاهرة والنصر الى أن يتم أمره فأجاب وبابعه وصمد
الى فاس فبرز الامير عمر للقائه

ولما تراءى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مقلولا
ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر ، فأجابه الى ذلك
ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت
كلمته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجلماسة وقصر كنامة
واقصر عمر على اماره مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه
لنحو سنة من امارته فكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع
والشقاق عن ملكه

وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبى بكر سماله أمل
فى الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بنى عبد الواد واستظهر بنى
توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطعمهم فى غيل الاسد ، ثم نهض بهم الى
المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدمان صمد اليهم الامير يعقوب ففلهم وردهم على
أعقابهم ومر يغمراسن فى طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فأحرق وانتسف

واستباح وأعظم النكاية ورجع الأمير يعقوب الى فارس واقتفى مذهب أخيه الأمير أبي بكر فى فتح أمصار المغرب وتدويخ أنطاره وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدى نصارى الاصنيول فكان له بها أنس جميل وذكر خالد رحمه الله



استيلاء نصارى الاصنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها



كان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد استعمله عمه الأمير أبو بكر ابن عبد الحق على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتقلب فى جهاتها مترصدا للفرصة وامكانها فيها ولما بويع عمه السلطان يعقوب بن عبد الحق آسفته بعض الاحوال منه فذهب مغاصبا حتى نزل عين غبولة وألطف الحيلة فى تملك رباط الفتح وسلا ليعتدبها ذريعة لما أسر فى نفسه من التوثب على الامر فتمت له الحيلة وملك سلا وركب عاملها أبو عبد الله بن يعلو البحر فارا الى آزمور وخلف أمواله وحرمه ، فتملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالخلع ، وصرف الى منازعة عمه السلطان يعقوب وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين يعقوبين وداخل يعقوب سلا تجار الحرب من الاصنيول فى الامداد بالسلاح فتباروا فى ذلك وكثرت سفن المتردين منهم اليها حتى كثروا أهلها وزاد عددهم فزموا على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين وستمائة عند اشتغال الناس بعيدهم وثاروا بسلا فى اليوم الثانى من شوال فوضعوا السيف فى أهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتحصن يعقوب بن عبد الله برباط الفتح

وطار الصرينخ الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بمدينة تازا

دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة ، وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والا فالمسافة ما بين تازا وسلا ست مراحل أو أكثر، ثم تلاحت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فتحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربع عشرة ليلة من حصارها وأثنى فيهم بالقتل ونجاشيها منهم الى سفنهم فشرروا قلوبهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ، ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربى من سلا الذى يقابل الوادى منها فانها كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المومن بن على فانه كان قد هدم اسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبا قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه الثلمة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فناء من أول دار الصناعة قبة الى البحر جوفاً وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعياً فى صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحسن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة فى هذا الخبر هى الدار التى كانت تصنع بها الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة العمورة فتصنع هنالك ثم ترسل فى الوادى وكان ذلك من الامر المهم فى دولة الموحدين حسبا سلف قال فى الجذوة : « دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد ابن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسة ومن أهل المهارة فى نقل الاجرام ورفع الاثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية » اهـ

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فانه خشى بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسمنه فضبطه السلطان وثقه ثم نهض الى بلاد

تامسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهى المسماة الان بالدار البيضاء ،
فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح
السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمنازلته وسار هو الى لقاء
يفمراسن فلقية وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب
ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما نذكره



خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق

رحمه الله



قد تقدم لنا أن الامير عبد الحق المربنى كان له تسعة من الولد أكبرهم
ادريس وقتل مع والده فى حرب رياح وكان لادريس هذا عدة أولاد بقوا فى
كفالة أعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب وكان أولاد ادريس قد
ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم ففسدوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا
أنهم أحق به منه لان أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على
عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على
رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليهم من
كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض اليهم
السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس
منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من
المتطوعة من بنى مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض
لهم فى العطاء وشفع بهذه الفعلة الحسنة عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش
عبر البحر الى الاندلس من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مواقف
مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من
الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله
وجزاهم عن المسلمين خيرا .

وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجاً بالنواحي متقلاً في
الجهات إلى أن قتله طلحة بن محلي من أولياء السلطان يعقوب على ساقية
غبولة من ناحية رباط الفتح سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان يعقوب
أمراً .



حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبي دبوس منها إليه
وهلاك المرتضى بعد ذلك



لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رآه
للمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم وحضرتهم ورأى أنه أوهن لشوكهم
وأقوى لامره عليهم ، فبعث في قومه وحشد أهل مملكته واستكمل التعبئة
وسار سنة ستين وستمائة حتى انتهى إلى جبل جيليز فشارف دار الخلافة ونزل
بعقرها وأخذ بمخنقها وخفقت ألويته على جنبااتها ، وعقد المرتضى على حربه
لأبي دبوس ادريس بن محمد بن أبي حفص بن عبد المومن فعباً كتابه ورتب
مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد العهد بسئلهما هلك
فيها الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ففت مهلكه في عضدهم وارتحلوا
عنها إلى أعمالهم واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى
ابن عبد الله بن وانودين فاقتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين
هزيمة شنعاء وتركوا الأموال والاثاث فأحتوى نو مرين على ذلك كله وهى
واقعة أم الرجلين

ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه أبي
دبوس بأنه يطلب الأمر لنفسه وشعر هو بالسعاية في جانب فخشى بادرة
المرتضى ولحق بالسلطان يعقوب سنة إحدى وستين وستمائة عند دخوله إلى
فاس من محاصرته مراکش فأقام عنده ملياً ثم سأله الاعانة على أمره بمسكر
يمده به وآلة يتخذها للملكه ومال يصرفه في ضرورياته ، على أن يشركه في

انفتح والغنيمة والسلطان فأمدد السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين
وبالمستجد من الالة والكفاية من المال وأهاب له بالعرب والقبائل ممن أهل
مملكته وغيرهم أن يكونوا معه يدا واحدة حتى يبلغ مراده من فتح مراكش ،
وسار أبو دبوس في الكتائب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه ممن
الموحدين بأمره فناروا بالمرتضى فكان من فرائده الى آزمور ونزوله على صهره
ابن عطوش ومقتله على يده ما قدمنا ذكره في دولته ، واستتب أمر أبي دبوس
بمراكش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان في الوفاء بالمشاركة فاستكف
واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بني
مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالاسوار فزحف اليه السلطان
يعقوب وحاصره أياما ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزروع وينسف الاقوات
وعجز أبو دبوس عن مدافعتة فاستجاس عليه يغمراسن بن زيان ليفت في
عضده ويشغله عما أمامه بما وراء فكان ما تذكره



وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراكش وريض على ترائبه للتوب عليها
لم يجد أبو دبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه يغمراسن بن زيان ليأخذ
بحجزته عنها فبعث اليه بالصريح في ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فسمر
يغمراسن لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بشن الغارات على
ثغور المغرب وإيقاد نار الفتنة بها ، فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا
وأرهدف منه حدا ماضيا فأفرج للوقت عن مراكش ورجع عوده على بدئه يريد
تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان فنزل فاسا وتلوم بها أياما حتى أخذ أهبة
الحرب وعدة النزول ثم نهض الى تلمسان منتصف محرم سنة ست وستين
وستمائة وسلك على أكرسيف ثم على تافرطاست .
وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبا كل منهما كتابه ورتب مصافه وبرز

النساء فى القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال
وطال القراع والنزال ، ولما فاء الفىء ومال النهار وكثرت حشود بنى مريـن
جموع بنى عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك فى
الجومة أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولى عهده
وهلك معه جماعة من عشيرته ، ولما انهزم بنو عبد الواد بقى يغمراسن فى
ساقتهم حاميا لهم من بنى مريـن أن تركبهم من خلفهم فكان ردء لهم إلى أن
وصلوا إلى بلادهم ، وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى
الاخيرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب إلى مكانه من حصار
مراكش والله غالب على أمره .



فتح حضرة مراكش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين بها



لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمراسن صرف عزمه إلى غزو مراكش
والعود إلى حصارها كما كان أول مرة فنهض إليها من فاس فى شعبان سنة
ست وستين وستمائة ولما عبروا وادى أم الربيع بث السرايا وشن الفسارات
وأطلق الاعنة واليدى للنهب والعبث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقرى
نواحيها كذلك بقية عامه ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأئخذ فيهم
واستباحهم ، ثم نزل وادى العيد فأقام هناك أياما ثم غزا بلاد ضهاجة فاستباحها
ولم يزل ينقل ركابه فى أحواز مراكش ويجوس خلالها إلى آخر ذى القعدة
من سنة سبع وستين وستمائة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة
عند أبى دبوس وقالوا له : «يا مولانا كم تقعد عن حرب بنى مريـن وقد ترى ما
نزل بنا فى حريتنا وأموالنا منهم فاخرج بنا اليهم لعل الله يجعله سبب الفتح
فانهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك
التغر من بنى عبد الواد ولم يزلوا يقتلون له فى الذروة والغارب حتى أجابهم إلى
رأيهم فاستعد للحرب وبرز من حضرة مراكش فى جيوش ضخمة وجموع

وافرة ، فاستجره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليعد عن مدد الصريح
فيسمك من ، فلم يزل أبو دبوس يسعى خلفه حتى نزل ودغفوا فحينئذ كر
عليه السلطان يعقوب فالتحمت الحرب واختل مصاف أبي دبوس وفر يسابق
الى مراكش وأين منه مراكش فأدركته الخيول وحطمت الرماح فخر صربا
واحتز رأسه وجيء به الى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم
الاحد ثاني محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم تقدم السلطان يعقوب نحو
مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى تينمل وبايعوا اسحق أخا المرتضى
فبقى ذبالة هنالك الى أن قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة وجيء به فسي
جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبدالمومن
والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملا وأهل
الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ،
ودخل مراكش في عسكر ضخم وموكب فخيم يوم الاحد التاسع من محرم
المذكور وورث ملك آل عبد المومن وتملاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن
الناس لبأسه وسكنوا لظلم سلطانه ، وأقام بمراكش الى رمضان من سنته ثم أغزا
ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتتحها وأوغل في
ديارها ودوخ أقطارها ورجع الى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراكش يصلح
شؤونها الى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة فخرج بنفسه الى بلاد درعة
فأوقع بعربها الواقعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم ورجع لشهرين من
غزاته ، ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه بفاس فعقد على مراكش لمحمد بن عني
ابن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خولته وكان من طبقة الوزراء وأنزله
بقصبة مراكش وجعل المسالج في أعمالها لنظره وعهد اليه بتدوين الأقطار
ومحو آثار بني عبد المومن وفصل من مراكش قاصدا حضرة فاس في شوال
من السنة المذكورة والله تعالى أعلم



مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى
 للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمهما الله

كانت دولة بنى أبى حفص أصحاب تونس وإفريقية فرعا من دولة بنى عبد المومن وشعبة منها حسبما نبهنا عليه غير مرة ، ولما ضعفت دولة بنى عبد المومن بمراكش والمغرب كان صاحب إفريقية أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهنتاتى يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى أنه أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بنى عبد المومن لانها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة مراكش لم تعرف الا للمصامدة من قديم الزمان وقبيلة هنتاته هى صميمها وذؤابتها فهذا ونحوه كان بنو أبى حفص يتناولون الى ملك مراكش ، ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه كانوا يدعون الى أبى زكرياء الحفصى تأليفا لاهل المغرب واستجلابا لمرضايتهم وإتيانا لهم من ناحية أهوائهم. اذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت فى قلوبهم فلو دعوا الى غيرها من أول الامر لحاصوا عنها حصة حمر الوحش ، ولما لم يمكن بنى مرين أن يدعوا الى بنى عبد المومن لانهم أقاتلهم وإياهم ينازعون ولهم يحاربون ويجالدون دعوا الى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى أصله ، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وانما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا فى ارتقاء ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالامر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد أن كان أولا يدعو اليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبى حفص ينشطون لذلك ويهادون بنى مرين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم اسلطان يعقوب على منازلة مراكش كتب الى أبى عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص يخبره بذلك ويستسده حتى كأنه نائب عنه لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق فى جماعة من وجوه دولته فأكرم المستنصر وفادتهم ، ثم لما فتح السلطان

يعقوب مراکش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها من أصناف الخيل
الحياد والسلاح والتياب الرقيقة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة
من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكنانى فتلفف الكاتب
المذكور فى ذكر المستنصر على منبر مراکش حتى تم له ذلك بمحضر وفد
الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم بالخبر واتصلت المودة والمهادنة
بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ، ولما هلك المستنصر وبويع ابنه
أبو زكرياء يحيى المدعو بالواطى اقضى سنن أبيه فى ذلك فبعث الى السلطان
يعقوب بهدية حافلة مع قاضى بجاية أبى العباس الغمارى سنة سبع وسبعين
وستمائة فعظم موقعها من السلطان يعقوب وكان لابی العباس الغمارى هذا
بالمغرب ذكر تحدث الناس به دهرا وقطع السلطان يعقوب لاول أمره الدعوة
الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم



عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا

وما نشأ عن ذلك من خروج قواجه عليه



كان السلطان يعقوب حين خرج من مراکش بعد فتحها قاصدا حضرة
فاس دار ملك بنى مرين اجتاز بمدينة سلا فأراح بها أياما فطرقة مرض وعك
منه وعكا شديدا ، فلما أبل من مرضه جمع قومه وعقد العهد لأكبر أولاده أبى
مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليه لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا
فأعطوها طوعية وعز ذلك على اقربائه من بنى عبد الحق وهم أولاد سوط
النساء بنو ادريس بن عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو بن
عبد الحق وإنما قيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء الثلاثة من بنى عبد الحق
كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء ، فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبى مالك
بولاية العهد آسفهم ذلك لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر حسبما سلف
فارتدوا على أعقابهم وقبلوا لعهم ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسروا

من ليلتهم من سلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة عس خلافتهم
ومدرج فقتلهم وكان ذلك فى عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم
اليهم بنو أبى عياد بن عبد الحق وشابعوهم على رأيهم ، فخرج السلطان يعقوب
فى أثرهم وقدم بين يديه ابنه الأمير يوسف بن يعقوب فى خمسة آلاف فأحاط
بهم وأخذ بمخفقهم ولحق به أخوه أبو مالك فى عسكره ومعه مسعود بن
كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب فى عساكره فحاصروهم ثلاثة
ولما رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم
واسترضاهم واستل سخائمهم ووصل بهم الى حضرته فسألوا منه الاذن فى
الحاق بلمسان حياء مما ارتكبوه من الخلاف فأذن لهم فأجازوا البحر الى
الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آنس من ميل عمه اليه فبقى بلمسان
حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منزلة السلطان يعقوب للمسان
حسبما نذكره عن قريب .

قال ابن خلدون : « واحتل هؤلاء القرابة من بنى عبد الحق بأرض الاندلس
على حين أقفر من الحامية جوها واستأسد العدو على ثغورها وتحلبت شفاها
لاتهامها ، فتبوأوها أسودا ضاربة وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع
الحتوف والنزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش
فعملمت نكايتهم فى العدو واعترضوا فى صدره سحجى دون الوطن الذى كان
طعمة له فى ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين
وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمداغة طائفتهم وزاحموا أمير الاندلس فى
رياستها بمنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل
العدوة من أعياصهم وغيرهم من أمم البربر وثانفوه فى مستقر غزه وساهموه ،
فى الجاية بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن
أثرهم فيه حسبما تلمع ببعض من ذلك ان شاء الله



هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب

لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصارى على مدينة العرائش وتشمس من ثغور العدو المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها واتهبوا أموالها وأضرموها نارا ورجعوا عودهم على بداهم فركبوا أجنابهم ولحقوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفنح مراكش فى التاريخ المذكور ولم يبين فى القرطاس هؤلاء النصارى من هم

وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويعمراسن بن زيان

لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه فى أقطار المغرب ونواحيه ونفوذ كلمته فى حواضره وبواديه وتم له الصنع بفتح مراكش وورائته كرسى بنى عبد المومن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك ما كان فى نفسه من ضغائن يعمراسن بن زيان وما آسفه به من تخذيل عزائمه ومجازيته عن قصده ورأى أن وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره للغزو ونشطه لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان ، فحشد جميع أهل المغرب وعزم على استئصاله وقطع دابره فعسكر بفاس وبعث ولده أبا مالك الى مراكش فى جماعة من خواصه حاشرين فى مدائنهم وضواحيها ، فأجمع عليه من قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج وناشبة الغزو ، استكثر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بفاس كذلك ، ثم نهض منها غرة صفر سنة سبعين وستمائة فصار حتى نزل وادى ملوية فأقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك فى جموعه وتوافت لديه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبيج وقبائل ذوى حسان والشبانان من معقل أهل

السوس الأقصى وقبائل رباح أهل أزغار وبلاد الهمط ، فعرض هنالك عساكره وميزها وربتها فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان

ولما انتهى الى أنكاد قدمت عليه رسل ابن الأحمر ووفد أهل الاندلس يسترخونه على العدو ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كلب عليهم وشره لالتهم بلادهم فتحركت همته رحمه الله للجهاد ونصر المسلمين واغاثة المستضعفين منهم ، ونظر في صرف الشواغل عن ذلك وجنح للسلم مع يغمراسن وعزم عليها واستشار الملا من أشياخ العرب ، وبنى مرين في ذلك فصوروا رأيهم لما كانوا عليه أيضا من إثارة الجهاد ومحبة ، فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشياخ القبائل الى يغمراسن يدعونه الى الصلح واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله : « ان الصلح خير كله فان جنح يغمراسن اليه وأنا بذاك والا فأسرعوا الى بالخبر . » فسار الأشياخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهله واستعد للقاء وحشد قبائل زناتة الجاورين له في تلك البلاد من بنى عبد الواد وبنى راشد وأحلافهم ومغراوة من عرب بنى زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصم عن سماع قولهم وموعظتهم وقال : «أبعد مقتل ولدى أصالحه، والله لاكان ذلك أبدا حتى أثار به وأذيق أهل المغرب النكال. من أجله » فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر ، وتراحف الفريقان فكان اللقاء على وادى ايسنى من بسيط وجدة وعبأ السلطان يعقوب كتائبه ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد في المينة وابنه يوسف في الميسرة ووقف هو في القلب ، ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك في الحومة أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان في جماعة من بنى عبد الواد ، وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا معهم لتباههم بثبات يغمراسن فطحتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برينس وانهمز الباوق ، ونجا يغمراسن في فله حاميا لهم ومدافعا عنهم من خلفهم ، ومر في هزيمته بفساطيطه فأضرها نارا فتاديا من حصرة استيلاء العدو عليها. وانتهت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمة وارتحل السلطان يعقوب من البد في أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها فسارعت ايدي

الجند اليها وجعلوا عليها سافلها والصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صفتفا ، وكانت هذه الوقعة منتصف رجب من سنة سبعين وستائة .

ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدي فسي ساحتها بالنهب والعيث ثم شن الغارات على البسائط فاكسحها سببا ونسفها نسفا وهلك في طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي وكان من عليه وزرائه وحماة ميدانه وله في ذلك أخبار مذكورة ، وكا نهلكه في شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير أبو زيان محمد ابن عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بنى توجين من زناتة فسي جيش كثيف من قومه مباها بنوده وطوله وآله حربه ، وكان قدومه هذا بقصد مظاهرة السلطان يعقوب على يغمراسن وتلمسان لعداوة كانت بينهما فأكرم السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس للقائه واتخذ رتبة السلاح لمباهاته واستمر الحصار على تلمسان ، وعظمت نكاية بنى توجين فيها بنخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وفساد الزرع وتحريق اقرى والضائع لما كان يغمراسن يعاملهم في بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ، ولما امتنت تلمسان على السلطان يعقوب وأيس من فتحها لحصانتها واشتداد شوكة حاميتها عزم على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوي بالقول الى مأمنه قبل أن ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملا حقائقهم من التحف وجنب لهم مائة من الخيل المقربات الجياد بمراكبها وأراح عليهم ألف نافقة حلوب وعمهم بالخلع الفاخرة والصلات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والغازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا الى منجاتهم ومقرهم من جبل واشريس ، وتلوم السلطان يعقوب عليهم أياما ربما وصلوا حذرا عليهم من يغمراسن أن ينتهز الفرصة في اتباعهم ، ثم أقبل السلطان عن تلمسان وبنى غنائه الى المغرب فوصل الى رباط تازا في أول يوم من ذى الحجة من السنة المذكورة فعيد بها عيد النحر ثم ارتحل الى فاس فدخلها فاتح سنة احدى وسبعين وستائة فأقام بها الى اليوم الحادى عشر من صفر فتوفى ولده وولى عهده الامير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب ﴿ الاستقصا - نات - 3 ﴾

ثم نهض * الى مراکش فدخلها أوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة فاقام بها شهرا حتى أصلح من شأنها ثم نهض الى طنجة وسبته على ما ذكره



فتح طنجة وسبته وما كان من أمر العزفي بهما



قد تقدم لنا في دولة أبي حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفي استبد عليه بسبته وتوارث ذلك بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتات سبته وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ، ولما ضعف أمر بني عبد المومن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي برياستها وضبطها وانتظم في طاعته سائر أعمالها ، ولما كانت سنة ثلاث وستين وستمائة بعث الفقيه المذكور أجفانه الى مدينة أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبتها لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتمنع بها ، واستمرت أموره فى سبته ونواحيا على السداد وكانت طنجة تالية لسبته فى سائر أحوالها وكاتنا معا من أحصن بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني المعروف بابن الامير فى طاعة أبي القاسم المذكور ، ثم انتقض عليه لمضى سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبي حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسى صاحب بغداد ثم انفسه ، وسلك فى طنجة مسلك العزفي فى سبته ولبنوا على ذلك ما شاء الله ، حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وافتشخوا

(*) قال فى الذخيرة السنينة فى تاريخ الدولة المرينية ما نصه : فلما انقضى شهر صفر الذى توفى فيه له ولدا أبو مالك ارتحل أمير المسلمين إلى حضرة مراکش فوصل إلى رباط القتح فى الثانى عشر من ربيع الاول فأخذ البيعة لولده الأمير أبى يعقوب علي بنى مرين بولاية العهد بها لولده الأمير أبى يعقوب ثم سار إلى مراکش فسدخاها فى نصف ربيع الاخر ففقد بها أياما ثم ارتحل إلى بلاد السوس الخ ... وهذا خلاف ما عند المؤلف هنا فراجع ذلك ص ١٥٤ طبع الجزائر .

معاقله وحصونه وهلك الأمير أبو بكر بن عبد الحق وابنه أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه في أتباعهم وحشهمهم إلى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا ضاحيتها وعاثوا في نواحيها وضيّقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الأمير على خراج معلوم على أن يكفوا الأذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فأصلحت يده يدهم وترددوا إلى البلد لاقتضاء حاجاتهم ، ثم مكروا وأضرّوا الغدر فدخلوا في بعض الأيام متأطّين السلاح وفتكوا بابن الأمير غيلة ، فثارت بهم عامة أهل طنجة واستلحموهم لحينهم في مصرع واحد سنة خمس وستين وستمائة ، واجتمعوا على ولده فبايعوه وبقيت في ملكته خمسة أشهر. ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فنهض إليها بعساكره من الرجل برا وبحرا وملكها وفر ابن الأمير فلاحق بتونس ونزل على المستنصر الحفصي واستقرت طنجة في إيالة العزفي فضبّطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك المملاّ من أشرافها في الشورى

ولما استولى السلطان يعقوب على حضرة مراکش ومحا دولة آل عبد المومن منها وفرغ من أمر عدوه يغمراسن هم بتلك الناحية وأجب أن يضيفها إلى ما بيده ليصفو له أمر المغرب الأقصى كله فنهض إلى طنجة ونازلها مفتتح اثنتين وسبعين وستمائة لأنها كانت في البسيط دون سبتة فكان أمرها أسهل فحاصرها نحو ثلاثة أشهر فامتنت عليه وئس منها وعزم على الإفراج عنها فبينما هو يقاتل في عشي اليوم الذي عزم على النهوض في غده إذا بجماعة من رماثها قاموا على برج ورفعوا لواء أبيض ونادوا بشعار بني مرين ، وذلك لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند إليهم فملكوهم البرج فتسوروا إليه الحيطان وقاتلوا عليه سائر ليلتهم إلى الصباح ثم تكاثرت جيوش بني مرين واقتحموا البلد عنوة ونادى منادى السلطان يعقوب بالأمان فلم يهلك من أهلها إلا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول ، وكان ذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولما فرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الأمير يوسف إلى سبتة فحاصر بها العزفي أياما ثم لاذ بالطاعة على أن يبقى ممتعا بحصنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأفرجت عنه عساكره وعاد إلى فاس والله غالب على أمره

فتح سجلماسة وما كان من أمرها



قد ذكرنا ما كان من استيلاء الأمير أبي بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وأنه عقد على مسلحتها لابي يحيى القطرائى الذى كان السبب فى فتحها عليه ، ولما هلك الأمير أبو بكر استبد القطرائى المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطرائى بواسطة القاضى ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب النبات من بنى معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادى المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهى أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمتها فى ملكته وجه عزمه الى افتتاح سجلماسة واتزاعا من أيدى بنى عبد الواد المتغلين عليها فهض إليها فى رجب سنة اثنين وسبعين وستمائة فى جموع بنى مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ، ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون : « ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة امام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها » اه كلامه . قلت وفيه فائدة : أن البارود كان موجودا فى ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه فى محاصراتهم وحرروهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسى فى شرح منظومته الموضوعة فى العمل الجارى بفاس قال : « كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعماية حسبما ذكره بعضهم فى تأليف له فى الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود » اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بنائى فى حاشيته . على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان فى وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويغلب على ظنى أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعماية فسرى الغلط من ذلك والله أعلم

وأقام السلطان يعقوب على حصار سجلماسة حولا كاملا وكان سفهاؤها يصعدون فوق الاسوار ويعنون بالنسب والفحش الى أن هلك المتجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هناك عنوة بالسيف وعات الجند في أهلها * فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنية وممن كان بها من أشياخ بنى عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكمل بفتحها للسلطان يعقوب فتح بلاد المغرب وتمشت طاعته في أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدبون بغر دعوته ولا جماعة تتحزب الى غر ففته



أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد
وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين في وقعة العقاب من الظهور والغلبة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جل ثغورها وحصونها ، ولما ضعف أمر الموحدين بالغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا الى المتافسة فيما بينهم واستظهار بعضهم على بعض بالطائفة واسلام حصون المسلمين اليه في سبيل تلك الفتنة فمشت رجالات الاندلس بعضهم الى بعض وأجمعوا على اخراج الموحدين من أرضهم فاناروا بهم لوقت واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم من بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ونازع ابن هود الرياسة بالاندلس ، ولا تسأل عما ذهب في منازعتهما من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة الشهيرة التي منها قرطبة واسبيلية قاعدتا أرض الاندلس كان كل واحد من هذين الثائرين يتقر الى الطائفة بما غلب

(*) الذي في الذخيرة السنية صفحة ١٥٨ أن السلطان يعقوب أمن سائر اهلها وعفا عنهم ونظر في مصالحهم ورفع مظالمهم وأصلح احوالهم وبلادهم

عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده ، وانقرض أمر ابن هود عن أمد قريب واستمرت دولة ابن الاحمر في عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب أمر ابن الاحمر بالاندلس عقد السلم مع الطاغية على أن ينزل له عن جميع بسائط عرب الاندلس فنزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتمدين بأوعاره ومنشئين بمعاقله وحصونه ، واختار ابن الاحمر لنزوله مدينة غرناطة واتخذها كرسى مملكته وابتنى بها لسكناء حصن الحمراء

وكان ابن الاحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا نابه أمر من العدو أو وصل اليه مكروه أن يستصر عليه بنى مرين ويدراً بهم في نحره ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين ، فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل بإشارة والده وأوفد (*) مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب رحمه الله فلقيه وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة فتبادروا للسلام عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم واستبشر بمقدمهم وبادر لاجابة داعي الله وإيثار الجنة وكان السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كلفاه مختارا له لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الأمير أبى بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية ، فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزيمته وايقظوا همته فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس في شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هناك وجهاز خمسة آلاف من قومه أزاح عنهم وأجزل أعطيائهم وعقد عليهم لابنه أبى زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفي صاحب سبعة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه

(*) راجع نص الكتاب الذى جاء به مشيخة الاندلس من ابن الاحمر إلى السلطان يعقوب يستعرض فيه للجهاد في كتاب الذخيرة السننية صفحة ١٥٩ طبع الجزائر .
وراجع ايضا جواب السلطان يعقوب على كتاب ابن الاحمر في الذخيرة السننية ايضا صفحة ١٦٢ .

عشرون أسطولاً فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثاً ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلات أيديهم من المغانم وأمنخوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام حاميها عن اللقاء وتحصنوا بالأسوار وقفل الأمير أبو زيان إلى الجزيرة الخضراء وقد امتلات أيدي عسكره من الأموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من السلاح والآنك ورأى أهل الاندلس أن قد ثأروا بعام العقاب بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره .



الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد



ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فأعزم على الغزو بنفسه ، وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث خافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فآكرم موصله وموصل قومه ، وبادر إلى الإجابة والالفة وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من الميل إلى الجهاد وإثارة ميرورات الاعمال ، فبث الصدقات شكراً لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك ، ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكاسة وجميع قبائل البربر من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فجازهم من فرضة قصر المجاز في صفر سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف

وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس
انترط عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض الثغور بساحل افرضه لاختلال
عساكره بها فنجفى له عن ردة وطريف

ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة باجازه السلطان يعقوب قدم اليه
الوفد من أهل مالقة بيعتهم وصريخهم وكان أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو
اسحق من أصحاب ابن الاحمر وكانا مستولين على مالقة ووادي آش وقمارش
ووقعت بينهما وبين ابن الاحمر منافسة فخرجا عن طاعته ، ولما عبر السلطان
يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقيلولة اليه واتصل به وأمضه الود
والضح سابق ابن الاحمر فى ذلك ونازعه فى برور مقدمه والاذعان له وربما
صدرت من ابن اشقيلولة فى حق ابن الاحمر جفوة بمحضر السلطان يعقوب
أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاحمر مغاضبا للسلطان من أجل ذلك

ولما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كائبه ساحة الارض ما بينها وبين
الجزيرة الخضراء ، ثم نهض الى العدو قبل أن يسبق اليهم الخبر فدخل دار
الحرب وانتهى الى الوادى الكبير فمقد هناك لولده الامير يوسف على خمسة
آلاف من عسكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره وسرح كائبه فى البسائط
وخلال المعال تنسف الزروع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنهب
الاموال وتكنسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية حتى انتهى الى
حصن المدور وياسة وأبده واقتحم حصن بلمة عنوة ، وأنى على سائر الحصون
فى طريقه فطمس معالمها واكنسح أموالها

وقفل السلطان يعقوب رحمه الله والارض تموج سببا الى أن عرس
بانسجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير باتباع العدو آثاره لاستقاد أسراه
واسترجاع أمواله وأن زعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج فى طلبهم فى أمم
النصرانية من المحتلم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا
من الفرسان أمامها وسار يقفئها من خلفها حتى اذا أطلت رايات العدو من
ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرّد السيف وذكر اسم الله وراجعت
زنانة بصائرهما وعزائمهما وتحركت همهما وأبلى فى طاعة ربها والذب عن دينها

وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا اللعين زعيم النصرانية بالاندلس قد قدمه الفتنش على جيوشه واستعمله على حروبه وفوض له في جميع أموره وكان النصارى قد سعدوا بطائره وتمنوا ببقيته لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالا على بلاد الاسلام كثير الغارات عليها حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكد الغارات وألحقه بأمة الهاوية ، ومنح المسلمين رقاب الفرنج واستحر فيهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الالوف وجمعوا من رؤوسهم ما ذن أذنوا عليها نصلا في الظهر والعصر ، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين (*) أكرمهم الله تعالى بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أوليائه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يكن يحتسبه بمحاربة هذه العصاة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رحمه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاحمر فيقال انه بعثه سرا الى قومه بعد أن طيه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ، ومدارة وانحرافا عن السلطان يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين

واعلم أن هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه ولفظة دون معناها في لسانهم السيد أو العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع من السنة المذكورة فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمسة لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ، ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبى ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فاستعت عن الحصر كثر حتى لقد زعموا أنه قد بيعت الشاة الواحدة بدرهم وكذلك السلاح

وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم نهض في جمادى الاولى من

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن عددهم أربعة وعشرون صفحة ١٧٣ طبع الجزائر .

السنة المذكورة غازيا اشيبيلة فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعاث فى عمرانها وأوغل فى مسيره حتى وقف على بابها وزعقت طبوله فى جوها وخفقت ألويته على جنباتها ولجأت الفرنج الى الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ، ثم ارتحل السى تريس فأذاقها من وبال العيث والاكتساح مثل ذلك أو أكثر ورجع الى الجزيرة لسهرين من غزاته فبيعت الفرنجية من سبيه بها بمقتال ونصف لكثرة السبى حينئذ (*)

ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب فى اختطاط مدينة بفرضة الحجاز من العدو لزول عسكره متبذرا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لهما مكانا ملاصقا للجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية ، ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل الى فاس فدخلها فى النصف من شعبان من السنة المذكورة



فتح جبل تينملل ونش قبور بنى عبد المؤمن على يد المليانى عفا الله عنه



قد تقدم لنا أن جبل تينملل كان حصنا للموحدين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده مزارا عظيما لهم لانه مدفن امامهم وملحد خلفائهم فكانوا يعكفون عليه ويلتمسون بركة زيارته ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم قربة يقرّبون بها الى الله تعالى ، ولما استولى السلطان يعقوب على مراكش فر من كان بها من الموحدين الى الجبل المذكور واعتصموا به وبابعوا اسحق أخا المرتضى

(*) ذكر فى الذخيرة السنية أن السلطان يعقوب كتب بهذا الفتح لبلاد العدو وقرئ كتابه على المنابر وكذلك كتب الفقيه أبو القاسم العزفى رسالة إلى فقهاء المغرب وصلحائه بشرح هذه الغزاة فانظرها هناك صفحة ١٧٥ طبع الجزائر .

وأملوا منه رجوع الكرة وإدالة الدولة واستمر الحال على ذلك الى هذه السنة فنهض عامل مراكش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد بن علي بن محلي أحد خزنته ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم افتحمه عنوة وافتض عذرتة وفك حتامه وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن أبي الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبا الى مصارعهم باب الشريعة من مراكش فضربت أعناقهم وصلبت أشلائهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب القبائلي وأولاده

وعانت عساكر بنى مرين فى جبل تينمل واكتسحوا أمواله ونشوا قبور خلفاء بنى عبد المومن واستخرجوا أشلائهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو على بن أحمد الملياني ، كان أبو على هذا ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فجهازوا اليه عساكرهم وأجبيضوه عنها ففر الى السلطان يعقوب فقبله وآواه وأقطعه بلد أغلمات اكراما له ، فحضر هذه الواقعة فى جملة العسكر وارتكب هذا الفعل الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرامسهم والعبث بأشلائهم وقد انكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوها ومع ذلك فقد تجاوزله السلطان يعقوب عنها تأنيسا لغربته ورعا لجواره ولما توفى السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى اليه فى الملىانى هذا فكبّه على ما تذكره ان شاء الله

ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته الى فاس انتقض عليه طلحة بن محلي أحد أحواله وتمنع بجبل آصروا من بلاد فازاز فسار اليه السلطان يعقوب وحاصره به فأناب الى الطاعة ونزل على الامان(*) وذلك فى منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وستمائة وفى ثمانى يوم من شوال من هذه السنة ثارت العامة باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر يهوديا ولولا أن السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها .

* وطلب من السلطان أن يبيع له التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج وأسغفه ووصله بمال جليل وخيل عتاق وما يحتاج إليه . الذخيرة السنوية صفحة ١٨٦ طبع الجزائر

بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد



لما فتح جبل تينملل ومجيت منه بقية آل عبد المومن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأى أن يحطط بلدا ينسب اليه ويتميز بسكانه وينزل فيه بحاشيته وأولياؤه الحاملين لسريه ملكه، فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاحقة لمدينة فاس على ضفة واديهما المخترق لها من جهة أعلاه وشرع في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة ، وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطلت مساحتها وأستت جدرانها وجمع الايدى عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة والمعدلين لحركات الكواكب فاختاروا لها من الطوالع ما يرضون أثره ويحمدون سيره وأستت فيه وكان في أولئك المعدلين امامان شهران أبو الحسن بن القطان * وأبو عبد الله ابن الجباك القديمان في الصناعة فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم رحمه الله وكما رضى ، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة ، واخطت الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور ، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام

قال ابن زرع : ومن سعادة طالعها أنه لايموت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء قط الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا
ثم أمر رحمه الله ببناء قصبة مكناسة فشرع في بنائها وبناء جامعها في السنة المذكورة ثم استوزر صنيعته أبا سالم فتح الله السدراتى وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم

ثم كافأ يغمراسن بن زيان على هديته التى كان بعث بها اليه قبل اجازته الى الاندلس فبعث اليه قسبطا زائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من البغال الفارهة ذكرانا واناثا وغير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب
وفى سنة خمس وسبعين وستمائة أهدى اليه الامير محمد بن عبد القوى

(*) في الذخيرة السنية بدل ابن القطان أبو الريم سليمان الغياش صفحة ١٨٧ طبع الجزائر

التوجيني صاحب جبل وانشريس أربعة من الجياد انتقامها من خيل المغرب
كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر
الجهاد شغل شاغل يتخطى إليه سائر أعماله حسبما تذكره ان شاء الله



الجواز الثاني للسلطان يعقوب إلى كاندلس برسم الجهاد



لما قفل السلطان يعقوب من غزوته الاولى واستنزل الخوارج ونقش
الثغور وهادى الملوك واختط المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا ، خرج فاتح
سنة خمس وسبعين وستمئة الى جهة مراکش لصد ثغورها وتقيف أطرافها
وتوغل في أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتي في السواكر
فجاس خلالها ثم انكفأ راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رحمه الله قبائل
المغرب كافة بالنصير الى الجهاد فتأقلموا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يسوفون
الى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ، ولما رأى تأقلم الناس عليه نهض الى
رباط الفتح وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فأبطأوا عليه فخف في خاصته
وتقدم في حاشيته حتى انتهى الى قصر المنجاز ، وقد تلاحق به الناس من كل
جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فأجاز بهم البحر واحتل بطريف آخر
محرم من السنة المذكورة ، ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة ،
فوفاه بها الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن لشقيلولة
صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسن برسم الجهاد معه
ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الاول من السنة المذكورة حتى
اتهى الى اشيلية فرس عليها يوم المولد النبوي وكان بها يومئذ ملك
الجلالة ابن اذفونش فلم يجد بدا من الخروج اليه بعد أن خام عن اللقاء
أولا فبرز في جموعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية السلطان
وأظهر من أهبة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الدروع السوانج
والبيض اللوامع والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد

شعاعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان يعقوب رحمه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده الامير يوسف في المقدمة وزحف على التعبية فاقتتلوا ملياً ، ثم انهزمت الفرنج ففسط بعضهم في الوادى وانحدر آخرون مع ضفته وتساعد آخرون كذلك واقنم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلوه في لجة حتى صار الماء أحمر وطفت جيفهم من الغد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر ، وبات السلطان والمسلمون تلك الليلة على سهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرمو النيران بساحة اشبيلية حتى صار الليل نهارا وبات الفرنج على الاسوار ينفخون في القرون ويحترسون طول ليلتهم

ثم ارتحل السلطان من الغدالى جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقرب تلك الجهات حتى آباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطنانية وحصن جليانة وحصن القليعة غنوة وأئخذ في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم والاقبال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فأراح بها وقسم الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الآخر فتازلها وأذاقها نكال الحرب ووبال الحصار وقطع الزيتون والاعناب وسائر الاشجار وأباد خضراءها وحرق ديارها وأئخذ فيها بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والتمر بيده وسرح ولده الامير يوسف من معسكره في سرية للغارة على اشبيلية وحصون النوادي الكبير فبالغ في النكاية واكسح حصن روطلة وشلوقة وغلبانة والقناطر ثم صبح اشبيلية فاكسحها وانكأ راجعا بالغنائم والسبي الى السلطان يعقوب فسر بمقدمه وقتلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراح السلطان بها أياما وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم جمع أشياخ القبائل ونديهم الى غزو قرطبة وقال : « يا معشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولا نكاية وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الفرنج ومنها معاشهم وما دتهم فان غزوتموها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشبيلية وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية

بهذا القطر » فأجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم الاموال والحلج
 وخطب ابن الاحمر يستنفره للجهاد معه وقال : « ان خروجك معي الى قرطبة
 يكون لك مهابة في قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجه من الله تعالى
 من الثواب في ذلك »

ونهب السلطان الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين
 المذكورة فوافاه ابن الاحمر بناحية شدونة فاكرم موصله وشكر خضوفه الى
 الجهاد وبداره اليه ونازلوا حصن بنى بشير فدخلوه عنوة وقتل المقاتلة
 وسييت النساء ونفلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له اثر ثم ببث
 السلطان رحمه الله سرايا والغارات في البساط. فاكسحها وامتلات الايدى
 واثرى العسكر وفاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والخيول والبغال والحمير
 والقمح والشعير والزيت والعسل ما لا يوصف ثم ساروا يقررون المنازل
 والعمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية
 السلطان في نواحيها وزعقت طبوله في فضاءها وتقدم في أبطاله وحماته حتى
 وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة في قتالها ووقف ابن
 الاحمر بعساكر الاندلس أمام محاة المسلمين يحرسونها خوفا من كرة العدو
 وخس الفرنج وراء الاسوار وانبت بعوث المسلمين وسرايهم في نواحي
 قرطبة وقراها ، ففسفوا آثارها وخرّبوا عمرانها وترددوا على جهاتها
 ودخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على
 قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك
 ثم قدم بعنا الى مدينة جيان فقامها حفظها من الخسف والدمار ، وخام
 لطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه
 بن السلطان يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الاقمة والرهبان للوساطة في ذلك
 رفهم السلطان يعقوب الى ابن الاحمر وجعل الامر في ذلك
 له تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وقال لوفد الفرنج : « انما أنا ضيف والضيف
 يصلح على رب المنزل » فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له : « ان السلطان يعقوب
 رد الامر اليك ونحن قد جئناك لتعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا

حرب « وأقسموا له بصلبانهم ان لم يررضه الفئش ليخلعنه لانه لم ينصر الصليب ولا حمى الحوزة فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين وانتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ نالند الطولية فانمقد السلم في اآخر شهر رمضان من السنة المذكورة وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وساقها الى غرناطة وقال له السلطان يعقوب: « يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف ابن تاشفين رحمه الله مع أهل الاندلس يوم الزلاقة »

ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن مالقة ودعاه الى حوزها منه وقال له : « ان لم تحزها أعطيتها للفرنج ولا يملكها ابن الاحمر » فحازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه أبى زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها ، وعز ذلك على ابن الاحمر غاية لانه لما بلغه وفاة أبى محمد بن اشقيلولة سما أمه اليها وأن ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعة له لا يبغي به بدلا فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ، ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من السنة وبرز اليه أهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان واعتباطا بدخولهم فى دعوته وانخراطهم فى سلك رعيته ، وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم ، وأنزل معه المسالج وترك عنده زيان بن أبى عياد بن عبد الحق فى طائفة نظره من أبطال بنى مرين ، واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة الخضراء ، ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلأت القلوب سرورا بما هياه الله من نصر المسلمين بالاندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله موجودة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما ذكره ان شاء الله

حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الأحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك



قد تقدم لنا أن بنو اشقيلولة كانوا أصحابا لابن الأحمر وأنهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء في جوازه الأول صدرت من ابن اشقيلولة كلمات أحفظت ابن الأحمر وغاظته فذهب لاجلها مغاضبا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الغزو ولا عرج على الجهاد ، ولما نصر الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العليج وبعث برأسه الى ابن الأحمر طيه وبعثه الى قومه انحرفا عن السلطان وموالاة للعدو ، ولما جاز السلطان يعقوب الجواز الثاني انقبض عنه ابن الأحمر ولم يلقه حتى خاطبه السلطان واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونة كما مر ، ولما صنع الله للسلطان ما صنع من الظهور والعز الذي لا كفاه له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيلولة ارتاب ابن الأحمر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف فغص بمكانه وأظلم الجو بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على ألسنة الكتاب في معنى العتاب ولم تزل القوارص بين السلطانين تجرى وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الأحمر على ملكه يشندوزيد وأوامر الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى أن استحكمت البغضاء وضاق بينهما رحب الفضاء ففزع ابن الأحمر الى مداخله الطاغية في شأنه واتصال يده بيده وجبله بجبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فأغتم الطاغية هذه الفرصة ونكت عهد السلطان يعقوب ونقض السلم وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالحي السلطان يعقوب وجنوده وأرست بالزقاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغاثه اياهم واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية واتفقا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداحل

﴿ الاستعصا - ثات - ٤ ﴾

ابن الاحمر عمر ابن يحيى بن محلى صاحب مالقة فى النزول له عنها بعوض ففعل واستولى ابن الاحمر عليها ثم راسل هو والطاغية يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم هو فى مشاققة السلطان وافساد ثغوره وانسزال اعوانى المانعة له من حركه والاخذ بأذياله عن النهوض الى الغزو وأسئوا فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عناق الخيل مع ثياب من عمل الصوف ، وبعث اليه ابن الاحمر مكافأة على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال ورده وأصفت آراؤهم جميعا على السلطان يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه اليهم .

واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو بمراكش كان خرج اليها مرجعه من الغزو فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة لما كان من عيث عرب جشم باماسنا وافسادهم السابلة ، فقفف أطرافها وحسم مادة فسادها ، ثم اتصل به خبر ابن محلى ونزوله عن مالقة لابن الاحمر ومنازلة الطاغية باساطيله للجزيرة الخضراء وتضييقه على المسلمين بها ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مراكش ثالث شوال من السنة يريد طنجة فوصل الى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه بها الامطار والسيول وعاقته عن النهوض ، وبينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر أيضا بنزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا واحاطة عسكره بها بعد أن كانت أساطيله منازل لها فى البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل .

ثم اتصل به الخبر ثالثا بخروج مسعود بن كانون السفينى ببلاد نفيس من أرض المصامدة خامس ذى القعدة من السنة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم ، فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما يصنع ، الا أنه رأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب فكر راجعا اليه وقدم بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم العلوى وجاء هو على ساقتهما ، وفر مسعود بن كانون وجموعه أمام السلطان فانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفيان ، ولحق مسعود بجبل

سكسوة فاعتصم به وشايح عبد الواحد السكسوى القائم به على خلافه ،
ونازله السلطان يعقوب بمساركه أياها وسرح ابنه الامير أبا زيان منديل الى
بلاد السوس لتمهيدها وتدوين أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه فى
آخر يوم من السنة المذكورة .

واتصل بالسلطان ما تضاعف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة
القتال واعواز الاقوات ، وانهم ختوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من
مرة الكفر فاهمه ذلك .

وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كائون حتى ينزل على حكمه
أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص
أهل الجزيرة فعقد لولى عهده ابنه الامير يوسف ، وكان
بمراكش على الغزو اليها وكان أهل الجزيرة كما قلنا قد أحاط بهم العدو
برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعمت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام
من جبل طارق ، وفى أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار
وشدة الحصار حتى أشرف بقيتهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، فحينئذ
جمعوا صيانتهم وختنهم كما مر وبينما هم على ذلك قدم الامير يوسف
بجيوشه الى طنجة وكان قدومه فى اوائل صفر من سنة ثمان وسبعين
وستمائة

وكان السلطان يعقوب لما بعث ابنه الامير يوسف الى طنجة قد كتب الى
الثغور باعداد الاساطيل وعمارتها وتوجيهها اليه وقسم الاعطاءات وحض
الناس على النهوض فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وأجابوا من كل
ناحية ، وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبته لما بلغه الخطاب من
السلطان فى شأن الاساطيل البلاء الحسن ، وقام فيه المقام المحمود ، فهى خمسة
وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم الى الشيخ فركبوا
البحر أجمعون ولم يبق بسبته الا النساء والشيوخ والصبيان ، ورأى ابن
الاحمر ما نزل بأهل الجزيرة واشراف الطاغية على أخذها فندم على مملاته
لياه وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة فكانت اثنى عشر اسطولا

فبعثها مددا للمسلمين ، وقدم من بادس وسلا وآنفى خمسة عث
فنهض في الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بمرفأ سب
أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زى وأكمل استعداد ثم تقدمت
ليراها الامير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة
نبي مرين رغبوا في الجهاد .

ثم أقلعت الاساطيل عن طنجة ثامن ربيع الاول سنة ثما
وستمائة وانتشرت قلوبهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد ا
بمرفأ جبل الفتح وصبحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمائة ف
المسلمون في دروعهم وأسبغوا من شكهم وأخلصو
عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطبائهم وذكر صلحاؤهم
القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضجوا العدو بالنبل
أفروطهم واختل مصافهم وانكسفوا وتساقطوا في عباب البحر ، فله
السيف وغشيه اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فملكوها
قائدها المند في جماعة من حاشيته ، واستمر مثقفا بفاس حتى فر بعد
وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد أفروطة العدو وهلاكه
ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر منهم من الق
داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيم
طنجة مستعدا للعبور فقوضوا أبنتهم وأفرجوا عن البلد لحيثهم وات
المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت
كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الخنطة والادام والفواك
أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحي

وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل الجزيرة و
العدو في كل ناحية لكنه صده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر
أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل يده بيده لمنازلة غرناطة دار ابن ا
فجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر في ما

الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير يوسف الى أبيه وهو بناحية مراكش فغضب لها وأنكر عنى ابنه وزوى عنه وجهه رضاه ، وأقسم أن لا يرى أسقفا منهم الا أن يراه بارضه ورجعهم الى طاعينهم مخففى السعى كاسفى البال

ووصلت فى هذه السنة هدية السلطان أبى زكرياء يحيى الواثق الحفصى مع أبى العباس الغمارى حسبما مرت الانارة اليه قبل هذا

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الافاق مستنفر للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وستائة حتى انتهى الى طنجة وعاین ما احتل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ، ومن فيها وكان قد أمر أمره فى هذه المدة وظهره أعداء ابن الاحمر من بنى اشقيلولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة ومرج أمر الاندلس ونقلت أطرافها وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحمر مما ناله من خسف الطاغية فراسله فى المواعدة واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التى خادع عنها ابن محلى كما تقدم ، فامتنع ابن الاحمر وأساء الرد فى ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه فى الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية ابن اذفونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن الغزو فبعث الى يغمراسن يسأله عن الذى بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة ، فلج فى الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدو الاندلسية مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معترم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها آخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه وقال له فيما خاطبه به : «الى متى يا يغمراسن هذا التفور والتمادى فى الغرور ؟ أما آن أن تتشرح الصدور وتنقضى هذه الشرور ؟» فى

كلام غير هذا فصم يغمراسن عن ذلك كله ولم يرفع به رأسا ، ولما أيسر
السلطان يعقوب من إقلاعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع
وسبعين وستمائة وقدم ابنه الامير يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بتازا ،
ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما في انتظار العساكر ثم ارتحل حتى نزل وادي
تفنا وصمد اليه يغمراسن بجموع زناته والعرب بحلهم ونجعهم وشائهم
ونعمهم وانتقت طوالع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما
العسكران والتحم القتال سائر النهار ، وكان الزحف بالموضع المعروف بالمعب
من أحواز تلمسان ثم انكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القوم وانتهب
معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتاع وبات عسكر
السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم ،
واكسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدي
بنى مرين من شائهم ونعمهم وتوغلوا في أرض يغمراسن ، ووافاه هنا لك
محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين لقيه بناحية القصبات وعاثوا جميعا في
بلادته تخريبا ونهبا ثم أذن السلطان يعقوب لبنى توجين في اللحاق ببلادهم
وأخذ هو بمخفق تلمسان محاصرا لها حتى يصل محمد بن عبد القوى الى
مأمنه من جبل وانشريس خوفا عليه من غائلة يغمراسن واتباعه اياه ، ثم
أفرج عنها وقفل الى المغرب فدخل حضرة فاس في رمضان سنة ثمانين
وستمائة ، ثم نهض الى مراکش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها فبنى
بها بامرأة مسعود بن كاتون السفيناني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة
وسرح ابنه الامير يوسف الى السوس لتدوين أقطاره ثم وافاه وهو بمراكش
صريح الطافية على ما ذكره الان



الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الأندلس مغنيا للطاغية

ومفتنما فرصة الجهاد



لما كان السلطان يعقوب رحمه الله بمراكش سنة احدى وثمانين وستمئة قدم عليه كتاب طاغية الاصبيول واسمه هراندة مع وفد من بطارقه وزعماء دولته مستصرخا له على ابنه سانجة الخارج عليه فى طائفة من النصارى وأنهم غلبوه على أمره زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستصره عليهم ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من يدهم فافتتم السلطان يعقوب هذه الفرصة فى الحال وجعل جوابه نفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يعرج على شيء حتى أتى قصر المجاز وهو قصر مصمودة فعبّر منه واحتل لوقته بالجزيرة الخضراء فى ربيع الثانى من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوغز الى الناس بالنفير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صحرة عباد وهناك قدم عليه الطاغية هراندة ذليلا لعزة الاسلام مؤملا صريح السلطان فأكرم موصله وأكرم وفادته .

وذكر ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الابنات :
 « ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان رحمه الله بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرننج ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمدّه بشيء من المال ليستعين به على حربه ونفقاته ، فألّفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه ، قال ابن خلدون : « وبقي هذا التاج بدار بنى يعقوب بن عبد الحق فخرا للإعقاب لهذا العهد » قلت : « وما أبعد حال هذا الطاغية الميهن من حال عطارد بن حاجب التميمى الذى لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين فى الابتذال والصون »

ثم ان السعدي يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب عدي حتى نزل قرطبة وبها يومئذ سانحة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقتلها أيما ثم أفرج عنها وتقل في جهاتها وبعث سراياه الى جيان فأفسدوا بزوعها ثم ارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الشجر فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بعدئذ حتى استافوها فقتل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتل بها في شعبان وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بمثلها وفي هذه السنة توفي يغمراسن بن زيان على ما في القرطاس . وذكر ابن حسون : أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له : « يا بني ان بنى مرين بعد استنحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بقتلهم فياك أن نحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك اني كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقاءهم لانني كنت أخشى معرفة الجبن عنهم بعد التمرس بهم والاجترأ عليهم وأنت لا يضرك ذلك لانك لم تحاربهم ولم تترس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها منكك وتكافئ حشد العدو بحشدك » قال : « فعمل ابنه عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس ففى جوازه الرابع فعقد معه السلم على ما أحب وانكفا راجعا الى أخيه فطابست نفسه وتفرغ لافتتاح البلاد الشرقية



انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الأحمر والسبب في ذلك



ما اتصلت يد السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع منكه خشي ابن الأحمر عاديته فجئح الى موالاة ابنه سانحة السخارج عليه ووصل يده بيده وأكد له العقد واضطربت الاندلس نارا وفتنة بسبب هذا الخلاف ، ولما قتل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه

أجمع على منازلة مالقة التي استحوذ عليها ابن الأحمر وخذع عنها ابن محلى
فنهض السلطان إليها من الجزيرة الخضراء فاتح سنة اثنتين وثمانين وستمائة
فغلب أولا على الحصون الغربية كلها ثم أسف إلى مالقة فأناخ عليها بمسكركه
وضاف على ابن الأحمر النطاق ولم تغن عنه موالاة سانحة شيئا وبدا له سوء
المغبة في شأن مالقة وندم على تناولها فاعمل نظره في الخلاص من ورطتها
ولم ير لها إلا الأمير يوسف ابن السلطان يعقوب فخطبه بمكانه من المغرب
مستصرخا له لرفع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين على
عدوهم فأجابوه واعتزم الثوبة في مسعاه وعبر البحر إلى اندلس في صفر
سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوافى أباه بمسكركه على مالقة ورغب منه
السلم لابن الأحمر في شأنها والتجافى له عنها فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في
ذلك من رضى الله عز وجل في جهاد عدوه وإعلاء كلمته ، وانعقد السلم
وانبسط أمل ابن الأحمر وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان
يعقوب إلى الجزيرة الخضراء فبث سرايا في دار الحرب فأوغلو وأثخنوا ثم
استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثانى
من سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى إلى قرطبة فأثخن وغنم وخرب
العرمان وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وترك محلته على بياسة
بالمغانم والانتقال وترك معها خمسة آلاف فارس يجمونها من كرة العدو ثم
أغذ السير في أرض قفرة ليلتين حتى انتهى إلى البرت من نواحي طليطلة
فسرح الخيل في البساط وجالت في أكافها ولم تنته إلى طليطلة لتأقل الناس
بكرة الغنائم وأثخن في القتل وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب
واتهى إلى أبدة فوقف بساحتها وقاتلها ساعة من نهار فرماه علع من خلف السور
بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها إلى معسكره بياسة فأراح بها ثلاثا ينسف
آثارها ويقطع أشجارها وقفل إلى الجزيرة وبين يديه من السبى والغنائم ما
يعجز عنه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة فقسم الغنائم
ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن
يعقوب فهلك شهيدا على شريش بسهم مسموم لشهرين من ولايته

ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ومعه ابنه أبو زيان منديل فأراح بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عيده ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوى وهى أم الامير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح فدفنت بشالة . ثم نهض السلطان يعقوب الى مراكش فدخلها فاتح ثلاث وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فتحركت همته الى الجهاد ثم سرح ابنه الامير يوسف ولى عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين بها وكف عاديهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب فى تلك القفار جوعا وعطشا وقتل راجعا لما بلغه من اعتلال والده انسلطان يعقوب فوصل الى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكرا لله تعالى على نعمة العافية ، وفى هذه السنة وصل ماء عين غبولة الى قصبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبى الحسن على بن الحاج والله تعالى أعلم



الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور الى الأندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عنهم وبعث فى قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش فى جمادى الآخرة ثلاث وثمانين وستمائة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع فى اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمتطوعة خاتم سنته ، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ، ثم سار الى الجزيرة

الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها فى العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث السرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالحي التى كانت بالثغور فتوافقت لديه ولحقه حافده عمر ابن عبد الواحد بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا وواقته حصّة العزفى صاحب سبّة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى عهده الامير يوسف باستنفار من بقى من أهل العدو .

وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطا ومحمد بن عمران عيوناً فوافوا حصن القاطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ، ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بنى مرين والغز وعرب الناصم والخلط والاتبج وأعطاه الراية وبعثه لغزو اشبيلية وذلك فى يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فغنموا ومروا بقرمونة فسي منصرفهم فاستباحوها وأتخذوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان فى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادى لك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أنخذوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها .

ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكراً من خمسمائة فارس للإغارة على حصن ركش فوافوه على غرة فآكسحوا اموالهم وسبوا ، ثم عقد تاسع ربيع ايضا لابنه ايسى معرف على الف من الفرسان وسرحه لغزو اشبيلية فسااروا حتى هجموا عليها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فحرب عمرانها وقطع أشجارها وامتلاّت ايدي عسكره سبياً واموالاً ورجع الى محلة السلطان وهى نازلة على شريش كما قدمنا مملو الحقائق .

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من

معسكره كن أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في
فئة وسرح معه الرجل من الناشئة والفعلة بآلات من المساحي والفؤس ،
ومده بالرجل من المصامدة وغزاة سبتة فافتحموه عنوة على أهله وقتلوا
بقته وسبوا النساء والذرية والصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ،
وسبعة عشر من أشهر ركب السلطان الى حصن مرتقوط قريبا من معسكره
فخر به وحرقه بالنار واستباحه وقتل مقاتله وسبى الاهد ، ولعشرين من
سهره المذكور وصل الى عهده الامير يوسف من العدو المغربية بنفير أهل
العرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان
بقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر
لذ من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد
فعد السلطان لولى العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة
وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشئة وذلك في يوم الجمعة الخامس
والعشرين من ربيع الاول المذكور وسرحه لغزو اشبيلية والأندلس في
نواحيها فجا كتابه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأتخوها وسبوا
وقبلا واقتحموا الحصون واكسحوا الاموال وعاج الى العهد على الشرف
والغلبة من سبط اشبيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل الى
معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش . وفي يوم الاثنين السادس
من ربيع الثاني قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب في
جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بنى جابر أهل تادلا مع كبيرهم
يوسف ابن قبطون وفيهم من المتطوعة والناشئة عدد كبير فقد له السلطان
غداة وصوله وأمدته بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على
قرمونة وطعمت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدفهم القتال فانكشفوا حتى
أخذتهم اليد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار
واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمارات حتى وقف بساحة اشبيلية
وأغار واقتحم برجا كان هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلات
حتى عساكره وقتل الى معسكر السلطان على شريش ، ولثلاث عشرة ليلة

من ربيع الثاني عقد السلطان لولى العهد الامير يوسف لمنازلة جزيرة كنبور فصمد اليها وقاتلها واقتحمها غنوة ، وفى ثانى جمادى الاولى عقد السلطان للحاج أبى الزبير طلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخلته أخاه عمر فى شان مائة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج ففضى فرضه ورجع وممر فى طريقه بتونس فاتهمه الدعى ابن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع السلطان يعقوب فعقد له فى هذا اليوم على مائتين من الفرسان وسرحه الى اشبيلية ليكون ريثة للمعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاذين من النصارى يعرفون له أخبار الطاغية سانحة ، والسلطان يعقوب رحمه الله أثناء هذا كله يغادى شريش ويرأوحها بالقتل والتخريب ونسف الانصار وبث السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوم من تجهيز عسكر أو اغزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران فى جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط اشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وجميع بسائط الفرثيرة

وأبلى فى هذه الغزوات عيا: بن أبى عياد العاصمى من شيوخ جشم والخضر الغزى من أمراء الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت وكذلك غزاة سبتة وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلهل ابن يحيى الخلطى صهر السلطان ويوسف بن قيطون الجابرى وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم

فلما دمرها تديرا وأوسعها تخريبا ونسقا نسقا واكسحها غارة ونهباً وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعترم السلطان على القفول وأفرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد أن حاصرها نحواً من ثلاثة أشهر وعشرة أيام واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فاعوز السلطان الى جميع سواحله من سبتة وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح والمنكب والجزيرة وطريف بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة فى عدتها

وَحَمَتِ أَطَايِلُ الْعَدُوِّ عَنْهَا وَارْتَدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا وَاحْتَلَّ السُّلْطَانُ بِعُقُوبِ
 «جَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَهِيَ الْمَسَامَةُ الْيَوْمَ بِخُوزِيرَتِ غُرَةِ رَمْضَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ
 وَثَمَانِينَ وَسِتْمِائَةٍ وَنَزَلَ بِقَصْرِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي بَنَاهَا بِأَزَارِئِهَا فَبُرِزَتْ
 أَطَايِلُ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَهُ بِالْمَرْسَى وَهُوَ جَالِسٌ بِمَشُورِ قَصْرِهِ فَلَعَبُوا بِمَرَأَى مِنْهُ
 فِي الْحَرِّ وَتَجَاوَلُوا وَتَنَاطَحُوا وَتَنَاطَرَدُوا كَفَعْلِهِمْ سَاعَةَ الْحَرْبِ فَفَسَّرَ بِذَلِكَ
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَصَرَفَهُمْ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِمْ



وَفَادَةُ الطَّائِفَةِ عَلَى السُّلْطَانِ بِعُقُوبِ بِأَحْوَازِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَعَقْدُ الصَّلْحِ بَيْنَهُمَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ



قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمَّا نَزَلَ بِبِلَادِ النُّصْرَانِيَّةِ مِنَ السُّلْطَانِ بِعُقُوبِ مَا
 نَزَلَ مِنْ تَدْمِيرِ قَرَاهِمٍ وَاكْتِسَاحِ أَمْوَالِهِمْ وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ وَإِبَادَةِ مَقَاتِلِهِمْ
 وَتَخْرِيبِ مَعَاqِلِهِمْ وَانْتِسَافِ عِمْرَانِهِمْ زَاغَتْ مِنْهُمْ الْأَبْصَارُ وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ
 الْحَنَاجِرَ وَاسْتَيْقَنُوا أَنَّ لِعَاصِمِ لَهُمْ مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فَاجْتَمَعُوا إِلَى طَائِفَتِهِمْ
 سَانِجَةً خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَهَّقُهُمْ ذَلَّةٌ مُتَوَجِّعِينَ مِمَّا أَذَاقَهُمْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ سُوءِ
 الْعَذَابِ وَالْأَلِيمِ التَّكَالِ وَحَمَلُوهُ عَلَى الضَّرَاعَةِ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ فِي السَّلْمِ وَإِفَادِ
 الْمَلَأَ مِنْ كِبَارِ النُّصْرَانِيَّةِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَالْأَفْلَ تَزَالُ تَصِيهِهِمْ مِنْهُ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُ
 قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ فَاجَابَ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُسْفِ وَالْهَضِيمَةِ لَدِينِهِ وَأَوْفَدَ
 عَلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَفَدَا مِنْ بَطَارِقَتِهِمْ وَشِمَامَتِهِمْ
 يَخْطُبُونَ السَّلْمَ وَيَضْرَعُونَ فِي الْمَهَادَنَةِ وَالْإِقْبَاءِ وَوَضَعَ أَوْزَارَ الْحَرْبِ فَرَدَّهُمْ
 أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ اعْتَرَاظًا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَعَادَهُمُ الطَّائِفَةَ بِتَرْدِيدِ الرِّغْبَةِ عَلَى أَنْ
 يَشْتَرِطَ مَا شَاءَ مِنْ عِزِّ دِينِهِ وَقَوْمِهِ فَأَسْعَفَهُمْ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَجَنَحَ إِلَى السَّلْمِ لَمَّا
 تَبَيَّنَ مِنْ صَافِيَتِهِمْ إِلَيْهِ وَذَلَّهِمْ لِعِزِّ الْإِسْلَامِ وَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ
 مَا تَقَبَّلُوهُ مِنْ مَسَالَةِ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِ قَوْمِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَرْضَاتِهِ
 فِي وِلَايَةِ جِيرَانِهِ مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ عِدَاوَتِهِمْ وَرَفَعَ الضَّرْبَةَ عَنْ تَجَارِ الْمُسْلِمِينَ

بدار الحرب من بلاده وترك التضرب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة ، واستدعى السلطان الشيخ أبا محمد عبد الحق الترجيمان وبثه لاشتراط ذلك واحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سانجة وهو باشيلية ففقد معه الصلح واستبلف وأكد في الوفاء بهذه الشروط ، ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وان يكون معه يدا واحدة عليه فأحضرهم الطاغية بمشهد عبد الحق وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة ، وقال لهم : « انما أنتم عبيد آبائي فلستم معي في مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عن نفسي فكيف عنكم » فانصرفوا ولما رأى عبد الحق ميله الى رضا السلطان وسوس اليه بالوفادة عليه لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مقبة ذلك في سل السخيمة وتسكين الحفيظة فمال الى موافقته وسأله لقي الامير يوسف ولى عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء السلطان يعقوب وكان قد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واطهار شعائر الاسلام وأبهته وأن لا يلبسوا الا البياض ، فاحتفلوا وتاهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية

وقدم الطاغية في جماعته سود اللباس خاضعين ذليلين فاجتمعوا بالامير يحصن الصخرات على مقربة من وادى لك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقبه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأنم كرامة يلقي بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أنحف بها السلطان وولى عهده كان فيها زوج من الخيول الوحشى المسمى بالليل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطير فقبلها السلطان وابنه وأضعفوا له المكافاة وكمل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بجز الاسلام عليه وانقلب الى قومه بملاء صدره من الرضى والمسرّة وسأل منه السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التى بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا

ففي جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والتعلبي ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها إلى فاس وتجيئها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة لليتين بقيتا من شعبان ففرض صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليلة جزأ لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا في مجلس السلطان ، وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة أبو فارس عبد العزيز الملوذي الأصل المكناسي الدار ويعرف بعزوز أتى بقصيدة طويلة من بحر الوافر على روى الباء المفتوحة المردوفة بالألف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وغزوات بنيته وحفاته وامتدح قبائل مدين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على اختلافها وأنشدت بمحضر السلطان والحاشية فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة ولنشدها بمائتي دينار ، ثم أعمل السلطان نظره في الثغور فرتب بها المسالحي وبعث ولده الأمير أبا زيان مندباً ليقيم على الحد بين أرضه وأرض ابن الأحمر وعقد له على تلك الناحية وأنزله بحصن ذكوان قرب مالة وأوصاه أن لا يحدث في بلاد ابن الأحمر حدثاً وعقد لعبد بن أبي عياد العاصمي على مسلحة أخرى وأنزله بأسطونة وأجاز ابنه الأمير يوسف إلى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره أن يبنى على قبر والده أبي الملوك عبد الحق بتافراطت زاوية فأخط هنالك رباطاً حفيلاً وبنى على قبر الأمير عبد الحق أديس أسنة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراءة لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعاً وأرضاً تسع حرث أربعين زوجاً رحم الله الجميع

بمنه



وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



وفى آخر ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وستمائة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذى توفى منه فلم يزل أله يشتد وحاله يضعف الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس فى ضحى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمائة وحمل الى رباط الفتح من بلاد العدو فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس،
الاعلام رحمه الله



بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته



كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكين كامل اللحية معتدلها أشيب نقى البياض حليما متواضعا جوادا مظفرا منصور الراية ميمون النقية لم يقصد جيشا الا هزمه ولا عدوا الا قهره ولا بلدا الا فتحه صواما قواما دائم الذكر كثير البر لا تزال سبخته فى يده مقربا للعلماء مكرما للصلحاء صادرا فى أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الامر بنى المستنانات للمرضى والمجانين ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على الكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالخدمى والعمرى والفقراء رتب لهم مالا معلوما يقضونه فى كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى



لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه تساءه وطيرن بالخبر الى ولي عهده الامير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخير وهو بأحواز فاس فأسرع السير الى طنجة وقد مات أبوه قبل وصوله فأخذ البيعة له الوزراء والاشياخ ولما عبر اليهم البحر واحتل بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها له على الكافة فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الاخذ بركة الفطر ووكلمهم فيها الى أماتهم وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الانزال عن دور الرعية وصرف اعتناؤه الى اصلاح السابلة فأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب الا ما كان منها في الاقطار الخالية والمقازات المخوفة فضضعت مريسن تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه ، وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر اليه ولقيه بظاهر مربة في العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فلقيه السلطان مبرة وتكرما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملكه أبيه ونزل له عنها ما عدى الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فقدم عليه بها وقد الطاغية سابعة مجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله

ولما تمهد للسلطان يوسف امر الاندلس عقد لآخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشيخ المجاهد أبي الحسن على بن يوسف بن يزكان على مسلحتها وجعل اليه أمر الحرب وأغصه الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بني مرين والعرب ثم عبر البحر الى المغرب

يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى حضرة فاس فدخلها ثاني عشر جمادى الاولى منها ولحين استقراره بها خرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق في بنيه واخوته ومن انضم اليه وليحق ببجال ورغة ودعا لنفسه فيسرح اليه السلطان يوسف أخاه أبا معرف محمد بن يعقوب فبدأ له في النزوع اليهم فلحق بهم وشابهم على رأيهم من الخلاف فاغزاهم السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوث والكتاب ثم تطلق في استنزال أخيه حتى نزل على الامان وفر بنو ادريس الى تلمسان فقبض عليهم أثناء طريقهم وجيء بهم في الحديد الى تازا فبعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان فقتلهم خارج باب الشريعة منها في رجب من السنة ورهب الاعياص من بنى عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلحقوا بغرناطة ملتفين على بنى ادريس منهم ثم ارتحل السلطان في رمضان من السنة المذكورة الى مراكش لتمهيد نواحيها وتقيف أطرافها فدخلها في شوال وأقام بها الى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فنهض من مراكش لغزو عرب معقل بصحراء درعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فساد اليهم في اثني عشر ألفا من الخيل ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم نواجع بالقفر فأنخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراكش وسجلباسة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة المذكورة الى مراكش فكتب محمد بن علي بن محلي عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة الموحدية لما وقع من الارتباب بأولاد محلي بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبته غرة محرم سنة سبع وثمانين وستمائة وهلك في السجن في صفر الموالي له ، وعقد السلطان يوسف على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم ولاء وحلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل السلطان يوسف الى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصر كرامة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ان بنى اشقيلولة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرئاسة بها حتى صاهرهم ابن الاحمر بابنته وأخته وقاموا معه في اثبات قواعد ملكه ثم انصرفوا عنه الى موالاة بنى مرين ونزل محمد بن عبد الله بن أبى الحسن منهم الى السلطان يعقوب عن مألقة وكان عمه أبو اسحق بن أبى الحسن صاحب وادى آش وأعمالها واتصل ذلك فى بنيه الى أن بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت المودة بين السلطان يوسف وابن الاحمر على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الاحمر من السلطان يوسف أن ينزل له عن واد آش التى هى لبنى اشقيلولة المتمسكين بدعوته كما نزل له عن غيرها من الثغور فأجاباه السلطان الى ذلك وكتب الى أبى الحسن بن اسحق بن اشقيلولة يأمره بالتخلى له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته البحر الى السلطان يوسف القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها فلم تزل ولايته متوارثة فى بنيه حتى انقرضوا آخر دولة بنى مرين واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم



حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان

صاحب تلمسان



قد تقدم لنا أن يغمراسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان أن لا يحدث مع بنى مرين حربا ولا يوافقهم فى زحف. ما استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بملكهم المغرب الاقصى وأعماله وأن عثمان قد عمل على ذلك فأوفد أخاه

محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع الى أخيه كما تقدم ولما ولى السلطان يوسف وقفل من مراكش الى فاس فى هذه المرة بعد أن ترك ابنه أبا عامر عبد الله مع محمد بن عطوا عامل مراكش ثار أبو عامر المذكور بها وخلع طاعة أبيه ودعا الى نفسه وشايعة ابن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير الى مراكش وبرز اليه ابنه أبو عامر فاقتلوا ثم انهزم أبو عامر فعاد الى مراكش واكتسح بيت المال بها وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور فقدمها سنة ثمان وثمانين وستمائة فاتواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان فلبسوا عنده مليا

ثم عظفت السلطان على ابنه الرحم فرضى عنه وأعادته الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم فى النفاق مع ابنه فأبى من اذاعة جواره واخفار ذمته وأغلظ له الرسول فى القول فسطا به عثمان واعتقله فنارت من السلطان يوسف الحفاظ الكامنة وتحركت منه الاحن القديمة والنزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مراكش فى صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أن عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ثم نهض من فاس اليها آخر ربيع الآخر من سنته فى عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها فى رمضان من السنة المذكورة ثم سار فى نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه الى تامت وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضرها ولما امتنع عليه أفرج عنها وانكأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بنى يزناسن ونسك الاضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد على ما ذكره

انتقاص الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه



لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتساذا أن الطاغية سانجة قد انتقض وبذ العهد وتجاوز التحوم وأغار على الثغور ، فأوعز السلطان الى قائد المسالحي بالاندلس على بن يوسف بن يزكان بن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية ، فهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمئة وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكاية .

ثم فصل السلطان يوسف من تازا غازيا أثره في جمادى الاولى مسن السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر أهل المغرب وقبائله ففروا وشرع في اجازتهم البحر ، فبعث الطاغية أساطيله الى الزقاق حجزا لهم دون الاجازة فأوعز السلطان يوسف الى قواد أساطيله بالسواحل بعماريتها لمقابلة أساطيل العدو ففعلوا ، وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو ويحتر الزقاق في شعبان من السنة فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله وقتل قواد الاساطيل ، فأمر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكته أساطيل السلطان ، فأجاز أخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيّق عليهم وبث السرايا في أرض العدو ، وردد الغارات على شريش واشيبيلة ونواحيها الى أن بلغ في النكاية والاثخان غرضه وقضى من الجهاد وطره ، وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمئة ، فظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه من الجواز مرة أخرى كما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر واستيلاء الطاغية على طريف بظاهرة ابن الأحمر له عليها



لما قفل السلطان يوسف من الأندلس وقد أبلغ في تكايف العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته فشرع في أعمال الحيلة ففى الأفساد بينه وبين ابن الأحمر ، وكان ابن الأحمر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخلض مع الطاغية نجيا وتفاوضا فى أمر السلطان يوسف وإن تمكنه من الإجازة اليهم إنما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافه وتصرف شوائهم وسفنهم فيه متى أرادوا فضلا عن الاساطيل الجهادية وإن أم تلك الثغور هى طريف وانهم إذا استمكثوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عينا لهم على الزقاق وكان أسطولهم بمرفئها رصد الاساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر ، فاعتزم الطاغية على منزلة طريف وبها يومئذ مسلحة بنى مرين وتكفل له ابن الأحمر بظهورته على ذلك والتزم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على أن تكون له ان خلصت للطاغية ، وتعاهدوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات من المجانيق والعرادات واحاط بها برا وبحرا ، وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريخ السلطان واضطرب ابن الأحمر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة واصناف الاقوات ، وبعث عسكرا لمنازلة حصن اسطبونة فتغلب عليه بعد مدة من الحصار ، واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فإرسلوا الطاغية فى الصلح والتزول عن البلد ، فصالحهم واسترلهم وتملكها آخر يوم من شوال سنة احدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشراف ابن الأحمر الى تجافى الطاغية له عنها حسبما تعاهدا

عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا



اعلم أن بنى وطاس فخذ من بنى مرين لكنهم ليسوا من بنى عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبنى الوزير منهم ، وبنو الوزير يزعمون أن نسبهم دخل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللتوني لحقوا بالبادية ونزلوا على بنى وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم ، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدما بقيت بلاد الريف خالصة لبنى وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب ، ولما غلب الأمير ابوبكر بن عبد الحق على مكانة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المأمون الموحدى من مراكز لغزوه فرأى أمامه إلى حصن تازوطا هذا ونزل به على بنى الوزير هؤلاء لاجئاً اليهم ومستجيراً بهم فأرادوا القتل به غير أنه وحسداً له فشرع بهم وتحول عنهم إلى عين الصفا من بلاد بنى يزنانن حسبما تقدم ذلك كله

ولما انقضى أمر بنى عبد المومن واستقام ملك المغرب لبنى مرين صرفوا عنايتهم إلى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يثقون بغناؤه واضطلاعه ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط من بنى وطاس لما يعلمون من سموهم إلى الرياسة وتطلعهم إليها ، وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ، وكان عمر وعامر ابنا يحيى بن الوزير رئيسين على بنى وطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا أنفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتك الناحية ، فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد

فى شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وفتك بحاشيته ورجاله وأزعجه عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع واعشار للبروم كانت مخزنة هنالك وضبط الحصن وشحنه بـرجاله وجوه قومه ولحق منصور بن عبد الواحد بعـمه السلطان يوسف فهلك لـيال أسفا على ما أصابه .

وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا على عمر بن السعود بـن خرباش الحشمى بالحاء المهملة فى العساكر لمنازلة حصن تازوطا فأناخ عليه بكلـكـله ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفى صحبته عامر بن يحيى بـن الوزير أخو عمر النائر ، فانه كان قد نزع الىه فأحاط السلطان بالحصن وضيق عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويثـس من الخلاص وظن انه قد أحيط به فـدس الى أخيه عامر فى كشف ما نزل به ، فـضمن عامر للسلطان يوسف نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فأذن له السلطان يوسف فى ذلك فصعد اليه وتفاوضا فى أمرهما وآخر الامر أن عمر احتمل الذخيرة وفر لـيلا الى تلمسان وبدا لعامر فى النزول عند ما صار فى الحصن فامتنع به قيل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذا بـثار ابن أخيه منصور ولافلاته أخاه من يده

واستمر على ذلك الى أن قدم على السلطان يوسف وفد الاندلس وفيهم الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مائة رانبا فى الصلح مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسى أساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان وقدم بين يده هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسى وهو فى الحصن فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجهتهم لديه فشفع له الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينقل بحاشيته الى الاندلس وكره عامر ذلك فأظهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته الى المرسى وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من الحصن وخاض الفلاة الى تلمسان فبعث الخيل أثره فقاتهم وأدركوا ولده أبا الخيل فـجىء به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فـضربت عنقه وحـب هنالك ، وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم

فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم ، وتلمسك
السلطان يوسف حصن تازوطا وأنزل به غناله ومسلحته وقفل الى خضرته
بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة

ولما كان السلطان نازلا على تازوطا قدم عليه رجل من فرنجة جنوة بهدية
جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل
ما صنع للمتوكل العباسي ، وفي هذه المدة سعى عند السلطان يوسف بأولاد
الامير أبى بكر بن عبد الحق وأنهم أرادوا الخروج عليه فحقد عليهم لذلك
وأحسوا بالنشر ففروا الى تلمسان وأقاموا هنالك الى أن بعث السلطان يوسف
انهم بالامان فأقبلوا حتى اذا كانوا بصبرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير
أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلحمهم اجمعين وهو يرى انه قد
ارضى اياه بذلك الفعل ، واتصل الخبر بالسلطان يوسف
فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريقا بلاد الريف وجبال
غمارة الى أن هلك بنى سعيد منهم آخر سنة ثمان
وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التي داخل باب الفتوح
وخلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداود فكفلهم جدهم السلطان يوسف الى
أن هلك فولى الامر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسيأتي ذكرهما ان
شاء الله



انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجبة



لما استولى الطاغية على طريف بظاهرة ابن الاحمر له عليها ونقض
الطاغية عهد ابن الاحمر فى النزول له عنها سقط فى يد ابن الاحمر وندم
على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف ، فوافد عليه ابن عمه الرئيس
أبى سعيد فرج بن اسماعيل ووزيره أبى سلطان عزيز الداني فى وفد من أهل

حضرته لتجديد العهد وتأكيده المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف ، فوافوه
بمكانه من حصار تازوفا كما قدمنا فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا
الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسعاف غرضه من المؤاخاة
واتصال اليد ، فوق ذلك منه أجمل موقع وطار سرورا من أعواده ، وأجمع
الرحلة الى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف
والرغبة اليه في نصرة بلاد الاندلس واغاثة المسلمين الذين بها ، فتهيا لذلك
وعبر البحر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل
بيونس من ناحية سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة فلقبه بها الاميران أبو عامر عبد
الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال
يؤمن من أبيه بعين الرضا

ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للقاءه وبرور مقدمه
فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يدي نجواه هدية اتحف بها السلطان
يوسف كان من أحسنها موقعا لديه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة
ثم خلص الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف في هذه المرة ، فقبل
السلطان ذلك وكافاه بأضعافه وبالغ في تكريمه واسعفه بجميع مطالبه واراد
ابن الاحمر أن يسطر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن
سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبر وأحفى ووصل وأجزل ، ونزل *
لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغرية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس
كانت قبل في ملكه وملكة أبيه ، وعاد ابن الاحمر الى أندلسه آخر سنة
اثنتين وتسعين وستمائة محبوا محبورا وعبرت معه عساكر السلطان يوسف
لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربها لوزيره الشهير الذكر عمر بن
السعود بن خرباش الحشمي فنازلها مدة فامتعت عليه وافرغ عنها
وفي سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا

* في النسخة الصغيرة من ابن خلدون طبع الجزائر ان النازل عن هذا الثغور هو ابن
الاحمر للسلطان يوسف وهو ما يقتضيه الحال

وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون فنتارا
وعدد كؤوسها خمسمائة كأس واربعة عشر كاسا ، وأنفق السلطان فى بناء
الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهابا

وفى سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف لغزو تلمسان فوصل
الى تاوريرت وكانت تخما لعمل بنى مرين وبنى عبد الواد ، ونصفها للسلطان
يوسف ونصفها لعثمان بن يغمراسن ولكل واحد منهما بها عامل من ناحيته
فطرد السلطان يوسف عامل ابن يغمراسن وشرع فى بناء الحصن الذى هنالك
فادار سوره وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بانه
بنفسه من صلاة الغداة الى المساء لا يغيب عن العملة الا فى أوقات الضرورة ،
وفى سنة ثمانية وتسعين فى رمضان من السنة المذكورة ولما تم شحنه
بالعسكر والسلاح وعقد عليه لآخيه أبى بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفا
راجعا الى الحضرة ، ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد
تلمسان فصار حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشدد فى قتالها ورماما
بالتجنيق اربعين يوما فامتنعت عليه فأفرج عنها ثانى عيد الفطر من السنة
المذكورة ، ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فصار الى تلمسان وبرز
عثمان بن يغمراسن لمدافته فانهزم وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف
حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقبل عنها ورجع الى المغرب
فقضى نسك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها ،
وسار الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكاسة
فقضى بها بعض الوطر ثم عاد الى فاس ، ثم خرج منها فى جمادى الاولى من
السنة المذكورة غازيا لتلمسان ومر فى طريقه بمدينة وجدة فأمر ببنائها وكان
أبوه السلطان يعقوب قد هدمها كما مر فبناها السلطان يوسف فى هذه المرة
وحصن اسوارها وبنى بها قصبة ودارا لسكناه وحماما ومسجدا ثم سار الى
تلمسان فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها احاطة الهالة بالقمر ونصب
عليها القوس البعيدة النزاع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها
المهندسون والصناع وتقربوا الى السلطان بعملها فأعجبته وكانت تحمل على

5555
5555

[illegible]

وكانت العلامة السلطانية يؤخذ موكولة الى كتاب الدولة لم تخصص
بواحد منهم لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كاستان المشط
فكتب احمد بن الملباني الى الامير ابي على كتابا على لسان والده يأمره فيه
أمرأ جزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يبهلهم طرفه عن ووضع عليه العلامة

☆ انظر ترجمته في الاحاطة ج - ١ - ص ١٤٩

التي تنفذ بها الاوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، قال ابن الخطيب : « ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل ثأني حتى اذا علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهي بحال حصارها فاقبل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب الناس من فراره وسوء اغتراره ورجعت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شغواء على الايام وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام » اهـ ولما وصل الكتاب الى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين الى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهنتائي وولده وعبد الكريم بن عيسى القديوى وبنوه الثلاثة عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الأمير على بالاعلام السى والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتثل الامر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظا عليه وأنفذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقعد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقير الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين وكان من الكفاة المضطلعين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها ، وأما ابن الملياني فانه فر الى تلمسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل الى الأندلس فبقي هنالك الى أن توفي بغرناطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله :

العز ما ضربت عليه قباسي	والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزهر ما أهداه غصن يراعتي	والمسك ما أبداه نفس كتابي
فالمجد يمنع أن يزاحم موردي	والعزم يأبى أن يضام جنابي
فاذا بلوت صنعة جازيتها	بجميل شكرى او جزيل ثوابي
واذا عقدت مسودة اجريتها	مجرى طعامي من دمي وشرابي
واذا طلبت من الفراقد والسهي	نارا فأوشك أن أنال طلابي

الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الأحداث على تلمسان



تقدم لنا أن السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلمسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر في طريقه بوجدة فأنزل بها الخامية من بني عسكر الى نظر أخيه الامير أبى بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بنى زيان فامتثل الامير أبو بكر أمره والى على النواحي بالغارات وافساد السابلة ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفدا منهم على الامير أبى بكر يسألونه الامان لهم ولبن وزاعهم من قومهم على أن يمكنهم من قياد بلدهم ويديسوا بطاعة السلطان يوسف فقبل لهم من ذلك ما أرضاهم ، ونهض الى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الامير أبو بكر جماعة من أهل البلد على أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم قبلها ، ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من عسفه ونجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزمه على النهوض ، فنهض لحيته من فاس فى رجب المذكور بعد أن استكمل حشده ونادى فى قومه وعرض عسكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عنهم ، وسار فى النعية حتى نزل بساحة تلمسان ثمانى شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأنشأ عليها بكليلة ورنض قبالتها على تراثه وأنزل محلته بفنائها وأحاط بجميع جهاتها ، وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار .

ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سبورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها فى وسطه ، ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالحي تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يخلف الى تلمسان برفق أو يتسبل اليها يقوت وأخذ بمخنفها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مائة شهر ، ولما دخلت

وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه فى خلواته وينادمونه فى أنسه ، فعضم
 جاههم عند الحاشية لاقبال السلطان عليهم واستبعوا الوزراء فمن دونهم من
 رجال الدولة ، وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاص
 وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتى وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم
 واستمروا على ذلك برهة من الدهر ، ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقه
 والفت اليهم التفاته وراجع بصيرته فى شأنهم فأهمه أمرهم وشعر كاتبه بذلك
 القائم بأمر دولته أبو محمد عبد الله بن أبى مدين ، فسعى عنده فيهم
 وأوجده السيل عليهم فسطا بهم سطوة منكرا واعتقلوا فى شعبان من سنة
 احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه
 ابراهيم وموسى بن السبتى وأخوته بعد أن امتحنوا ومثل بهم وأتت النكبة
 على حاشيتهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية ، الا أن السلطان استبقى منهم
 خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره ، وعبت بسائرهم
 وظهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله
 سبحانه

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفى عثمان بن يغمرا من فى الحصار
 عقب شربة لبن يقال أنه جعل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تقاديا من معرة
 غلبة عدوه عليه ، فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وابعوا ابنه محمد بن عثمان
 واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت
 وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فتفجع على عثمان وعجب من صرامة قومه من
 بعده

﴿ الاستعصا ناك 6 ﴾



انتفاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة



كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة ، وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ، وكان من أول ما فعله محمد المخلوع بعد استقلاله بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فأوفد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم ، فوصلا الى السلطان يوسف بمعسكره من حصار تلمسان فلقاهما بالقبول والمبرة وجددت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشيتهم الموعدين منازلة الحصون والمناغرة بالرباط فأسعنوه ، ثم فسد ما بينهما لمنافسات جرت الى ذلك فانتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الطاغية وممالاته على المسلمين أهل المغرب وأحكم العهد مع هراندة بن سانجة من بني اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله

ثم أوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الحيلة في الغدر بأهل سبتة ففعل ، ودخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فأمكنه من البلد فاقحمها بأساطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فلقاهم ابن الاحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقروا بالاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف اطرافها وسد ثغورها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فحمى أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم في جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تازا فلم يغن شيئا ورجع مهزوما فسخطه السلطان لذلك وأهمله وبقي على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتفاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة



كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الحق من أعياص الملك المريني وكان قد قدم من الاندلس فى صحبة الرئيس أبى سعيد عند استيلائه على سبتة ثم ثار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقي متقللا هنالك مدة ، فتغلب على تكساس وآصيلا والعرايش وانتهى الى قصر كاتمة وخب فى الفتنة ووضع الى أن الحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبى الربيع فولى بها مشيخة الغزاة وكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء كما سياتى ان شاء الله .

وفى سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربى الى الحرمين الشريفين ، واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة فارس من الابطال ، وخطب صاحب الديار المصرية لعهدده وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من ممالك بنى أيوب المعروفين بالبحرية ، واستوصاه بحاج أهل المغرب وأنحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العرب والمطايا الفارهة يقال كان عدد الخيل والمطايا أربعمائة. الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصحفاً ضخماً اعتنى به واستكتبه وجعل لسه غشاء مكللاً بنفيس الدر وشريف الباقوت ورفع الاحجار ، ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب والهدية السبيل لحاج المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وافر وركب ضخماً فمقد السلطان يوسف على دالتهم لابی زيد الغفارى وفصلوا من تلمسان فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وفى شهر ربيع الاخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين حملوا المصحف والهدية ووفد معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد لييدة بن أبى نمى نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد مهلك أبيهم أبى نمى صاحب مكة ، فاستبلغ السلطان يوسف فى اكرامه والتنويه بقدرة وسرجه الى المغرب ليجول فى أقطاره

ويطوف على معالم الملك وقصوره ، وأوعز الى العمال بالبرور به واتحافه على . يناسب قدره ، ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلمسان سنة خمس وسبعمائة ثم فصل منها الى مشرقه ، وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الثاني ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالتقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف ثوبا من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا للبوسه فى الجمع والاعياد كان يستبطنه بين يديه تبركا به

وأما الملك الناصر صاحب مصر فانه كافأ السلطان يوسف على هديته بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوفد به مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبعمائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة فى جمادى الآخرة سنة ست بعدها واهترق دودهم وأركب الناس للقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة فى مبرة أمثالهم ، وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى حافده أبى ثابت فأحسن متقلبهم وملا حقايبهم وفصلوا من المغرب الى بلادهم فى ذى الحجة من سنة سبع وسبعمائة ، ولما انتهوا الى بلاد بنى حسن فى ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقفر فاتتهبهم وخلصوا الى مصر بجريعة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيئا



وفاة السلطان يوسف رحمه الله



كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ فى جملة حاشيته ومماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تصير اليه من جهة أبى على الملبانى أيام كان عاملا له على مراكز و كان السلطان يوسف فى ابتداء أمره يخلط الخفسيان بأهله ولا يحجبهم عن حرمة وعياله ثم حدث للسلطان ربة فى بعض الخفسيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عريضهم ، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسولت لهذا الخصى الخيىث نفسه الشيطانية انفتك بالسلطان فعمد اليه وهو فى بعض حجب قصره فاستاذن عليه فأذن له فالفاه مستلقيا على فراشه مختصبا بجنساء فوثب عليه وطمعه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء فى أمره فأدركه من العشى بناحية تاسلة فقبض عليه وجيء به الى القصر فقتلته العبيد والحاشية وصابر السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذى القعدة من سنة ست وسبعماية (*) وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الان

وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن وقومهم من بنى عبد الواد وسائر أهل تلمسان وكانت المدة فى ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران ، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما

* وزعم التونسي ان رجلا ممن يشار لهم بالصالح من اهل أغمات جاء الى السلطان يوسف وهو تحت اسوار تلمسان ورغب منه ان يرفع الحصار عن بنى زيان فرفض السلطان طلبه فتأثر الرجل من ذلك وانصرف وهو يقول : « سيحدث بعد حادث يكون فيه ما طلبت » ثم ساق ذكر فتك الخصى بعد بالسلطان يوسف رحمه الله

تجاوز حد العادة وعجز وجدهم عنها فكان ثمن مكيال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمان الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحُمير ثمن المثقال ومن الخيل بعشر المثقال والرطل من الجلد البقرى مِيتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجى بمِثقال ونصف والكلب بمِثله والفأر بعشرة دراهم والحية بمثل ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والواقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين درهما ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن الفستق بخمسة عشر درهما والواحدة من القنار والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين ، واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاعت أحوالهم وهلكت حايثهم فاعتزموا على الالتقاء باليد والخروج للاستماتة فيها إله لهم الصنع الغرب ونفس عن مخنقهم بمهلك السلطان يوسف على يد الخصى المريب وأذهب الله الغناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما نشروا من القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة فى سكتهم : « ما أقرب فرج الله » استغرابا لها (*)

قال ابن خلدون : حدثنى شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى قال: جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء سابع ذى القعدة فى زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن جحاف خازن الزرع فسأله كم بقى من الاهراء والمطامير المختومة فقال له : انما بقى عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمان ذلك وبينما هم يتذكرون فى ذلك دخل عليهم أخوه أبو حموا فأخبروه بذلك فوجهم وجلسوا سكوتا لا ينطقون واذا بدعد قهرمانه القصر وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبسى

* ذكر صاحب بغية الرواة انه بلغ فى هذا الحصار عدد موتى اهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مائة الف وعشرين الفا ص ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣

اسحق حظية أبيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيثهم وقالت لهم : « تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم : » ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم واسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الأفواق ناقة لمصارعكم فأريحونا من معرة السبى وقربونا الى مصارعنا وأريحوا أنفسكم فينا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم » فالتفت أبو حموا الى أخيه أبي زيان وكان من الشفقة بمكان فقال : « قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن » فقال : « ياموسى أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما شاء » فغضب أبو حموا وانكر عليه التأخير في ذلك وقال : « انما نحن والله نتربص المرأة بهن وبأنفسنا » وقام عنه مغضا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء قال ابن جحاف : « وأنا بمكاني بين يديه لأملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعنى الا حرسى بالباب يشير الى أن أعلم السلطان بمكان رسول جاء من محلة بنى مريين وها هو بسدة القصر » قال ابن جحاف : « فلم أطق رد جوابه الا بالإشارة » وانتبه السلطان من همسنا فرعا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال : « ان السلطان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وأنا رسول حافده أبى ثابت اليكم » فاستبشر السلطان أبو زيان واستدعى أخاه وقومه حتى بلغ الرسول المذكور رسالته بمسمع منهم فكانت احدى المغربات في الايام وكان من خبر هذه الرسالة أن السلطان يوسف لما هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتحيز حافده أبو ثابت الى بنى ورتاجن لخولسة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوبوا عليه وبعث الى بنى زيان أن يعطوه آلة الحرب ويكونوا مفرعا له ان أخفق مسعا على أنه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مريين وافرغ عنهم ، فعاقدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التي كان السلطان يوسف غلب عليها من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غالب على أمره



بقية اخبار السلطان يوسف وسيرته



كان السلطان يوسف رحمه الله أبيض حسن القد مليح الوجه أقى
الأنف مهيا لا يكاد أحد يبدأه بالكلام جوادا مشفقا على الرعية متفقا لاحوالها
سجعا شهما ذا عزيمة .

إذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
وهو أول من هذب ملك بنى مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك
وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل اليه الا بعد الجهد ، ومن أعيان كتابه
الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني ، ومن أعيان شعرائه أبو
الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو فارس عبد العزيز المزروزي المكناسي
وغيرهما والله تعالى أعلم

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث (ففى سنة ست وخمسين
وستمائة) وهى السنة التى بوع فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان
الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيرها ربع منه بدرهم
والقمح ستة دراهم للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة ، وأما القطنى
فلم يكن لها ثمن والعسل ثلاثة أرتال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم
والزبيب درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرتال بدرهم واللوز صاع بدرهم
والشابل الطرى فردة بقيراط والملح حمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية
بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا
وفى سنة احدى وستين وستمائة ظهر النجم أبو الذوائب وكان ابتداء
ظهوره ليلة الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقي يطلع كل ليلة
وقت السحر نحو من عشرين يوما

وفى سنة أربع وستين وستمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن
قاسم الحسنى من أرض ينبع الحجاز الى سجلماسة وهذا الشريف هو جسد
الاشراف العلويين السجلماسيين ملوك المغرب الاقصى فى عصرنا هذا أعلى

الله تعالى قدرهم وخلد مجدهم وفخرهم ، وغد الكلام على دولتهم السعيدة
نذكر كيفية دخول هذا الشريف الى المغرب والسبب فيه ان شاء الله
وفي سنة ست وستين وستمائة سرق من بيت المال بقصة فاس اثنا عشر
ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك

وفي حدود السبعين وستمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن
السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة في هذه المدة والله تعالى
أعلم

وفي سنة سبع وسبعين وستمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد ،
وفي سنة تسع وسبعين وستمائة علفت به ثرياه وذلك يوم السبت السابع
والعشرين من ربيع الاول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر
رطلا وعدد كؤسها مائتا كأس بالثنية وسبع وثمانون كأسا وفيها كان الجراد
العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الارض وبلغ
القمح عشرة دراهم للصاع

وفي سنة ثمانين وستمائة بنيت قنطرة وادى النجاة وقنطرة ماريـج
وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس
قنطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذى
توفيت فيه الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوية من بنى على بن عسكر
وهى أم السلطان يوسف فغاث الله العباد وأحیی برحمته البلاد

وفي سنة خمس وثمانين وستمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبت
الناعورة الكبرى على وادى فاس شرع فى عملها فى رجب من السنة
المذكورة ودارت فى صفر من السنة بعدها

وفي سنة ست وثمانين وستمائة بنى سور قصر المجاز وركبت أبوابه
وفيها غرس بستان المصارة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء بها أيضا
وفي سنة تسع وثمانين وستمائة كانت الريح الشرقية المتواليه الهبوب
ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك الى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله
بلاده وعباده وفيها توفى الشيخ الصالح أبو يعقوب الاشقر بالكندرتين من

بلاد بنى بهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذى تنسب إليه
الحمة التى قدمنا الكلام عليها فى أخبار المنصور الموحدى والله أعلم وفيها
بنى المسجد الجامع بمدينة تازا وبنيت قبة مكناسة الزيتون ورباعها

وفى سنة احدى وتسعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال له (*) وصيره عيداً من الاعياد
فى جميع بلاده وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وكان الامر
به قد صدر عنه وهو بصرة من بلاد الريف فى آخر صفر من السنة فوصل
برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبى الصبر واعلم أنه قد
كان سبق السلطان يوسف الى هذه المثقة المولدية بنو العزفى أصحاب سبتة
فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كان كسوف الشمس وذلك قـرب
زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها
نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب
أبو عبد الله بن أبى الصبر حتى انجلت فخرج من المحراب ووقف بازائه
فوعظ الناس وذكرهم وفى هذه السنة رفعت أيدي الموتقين من الشهادة بفاس*
ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلاً من أهل العدالة والمعرفة وكانوا
قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادى عشر من شوال من
السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد
المغرب وافريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على المغسل
وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم وأمر السلطان
يوسف بتبديل الصيعان وجعلها على مد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

(*) يعنى بالمغرب واما بالمشرق فاول من احدثه الملك المظفر صاحب اربل فى
اواخر المائة السادسة انظر ترجمته فى حرف الكاف من وفيات الاعيان .
* وذكر فى الفائق ان السلطان ابا عنان المرينى الاتى امر بالاقصاى على عشرة
من الشهود بمدينة مكناسة انظر تمام كلامه

بالحضرة على يد الفقيه أبي فارس عبد العزيز الملزوزي الشاعر المشهور .
 ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة فيها صلح أمر الناس وانجبرت
 أحوالهم ورخصت الاسعار في جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما
 للصحفة وفي هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلي بحيث غاب
 قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التي تكون ما بين العشاءين
 وظهرت النجوم وماج الناس وضافت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم
 بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن
 والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة
 وفي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة
 بازاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبا مر الخبر على ذلك
 مستوفى وبالله تعالى التوفيق



الخبر عن دولة السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



قد تقدم لنا أن أبا عامر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد انتدب عن
 أبيه وبقي متقلا في جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك في بلاد بنى
 سعيد منهم ، وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا
 الذي ولى الامر بعد جده ، وذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله
 بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا في جملة وكان له في بنى
 ورتاجن من أهل تلك البلاد خؤلة فليحق بهم ودعا لنفسه فأبعوه وقاموا معه
 في أمره ، وبايعه معهم أشياخ بنى مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس
 ثاني يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايهم بداخل
 المنصورة الى بيعة الامير أبي سالم بن السلطان يوسف وكاد أمر بنى مرين
 يفسد وكلمتهم تتفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحيته وكان شهما مقداما الى

صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن فعقد لهما عهداً على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يمدوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أملهم ولم يتم له أمر فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد أبو حمو فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وان من أراد الإقامة بها من أهلها فما لاحد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد استوطنوها وألفوها وطب مقامهم بها وتاثلوا بها الاثاث والمتاع والخزنى وسائر الماعون مما يشبط المرتحل وينقل جناح الناهض فقبل أبو حمو ذلك كله

وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبي سالم فلم يتم وكب السلطان أبو ثابت الى حامية بنى مرين وحصصها التي كانت متفرقة فى الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فأقبلوا اليه ينسلون من كل حذب وأسلموا البلاد الى أهلها من بنى عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعم أبيه أبي بكر بن يعقوب فى آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر ببقية القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلحقوا بعثمان بن أبي العلاء الثائر بيجال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم على ما ذكره ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس فى جموع لانحصى وأمم لانتقصى فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمائة فى طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمائة ثم نهض بعد ذلك الى مراكش على ما ذكره ، ولما علم بنو يغمراسن أن أبا ثابت قد أبعد عنهم وأنه توغل فى البلاد المراكشية واشتغل بحروب الثائرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحو آثارها فصبحت كأن لم تكن بالامس

ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره



كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن ابن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر فى أحوال فاس والمغرب ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر فى أحوالها وضبطها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثته نفسه بالانتزاع فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالى بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان أبي ثابت وهو بفاس فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاء المهملة ويعقوب بن آصناك فى خمسة آلاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبي عياد الى حربهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عياد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكورى ولحق به موسى بن سعيد الصيحي من اغمات تدلى من سورها فلحق به

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبي عياد فى انتزائه فاستلحموا جميعاً ، ولما لحق ابن أبي عياد بمخلوف بن هنو الهسكورى واستجار به لم يجره على السلطان أبي ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم فى الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا فى مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبي عياد الى فاس فطيف به ونصب على سورها ثم أنخن أبو ثابت

فى كل من كان على رأى ابن أبى عياد وخاض معه فى الفتنة فاستلحم منهم
بمراكش ما ينيف على الستمائة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب
مراكش الى برج دار الحرية عزونة ، وقتل فى اغمات منهم مثل ذلك وخرج
منتصف شعبان الى منازل السكسوى وتدويخ جهات مراكش فنزل بتامزوارت
وتلقاه السكسوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ،
ثم بعث قائده يعقوب بن آصناك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة
برسم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة وانقطع أثرهم
ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها ، فانكشف
السلطان أبو ثابت راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع
وسبعمائة . ثم خرج منها فى منتصفه فاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة
وعبر وادى أم الربيع من مشرع كنامة فى القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم
ارتحل فاجتاز ببلاد تامسنا فتلقيه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى
جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنفى بعد أن استأذنه فى الرجوع
فلم يأذن لهم ، ولما احتل بآنفى دعا بأشياخهم فحضرُوا عنده فقبض على ستين
منهم وأودعهم سجن آنفى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبل
وصلبهم على سور آنفى ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله فى السابع والعشرين
من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين
بالحرابة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ، ثم ارتحل منتصف
شوال لغزو عرب رياح المواطنين بأبى طويل وفحص أزغار وبلاد الهبط ،
فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذراريهم واتهب أموالهم
ونهب الى فاس فاجتاز بها منتصف ذى القعدة وعيد بها عيد الاضحى ثم نهض
الى سبتة على ما تذكره



غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارة وسبته ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبي سعيد بن الأحمر المتغلب على سبته أيام السلطان يوسف وأنه ثار بجمال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه خبره وأهمه شأنه إلا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض إليه فعاجله الحمام دون ذلك ولما أفضى الأمر إلى السلطان أبي ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبي عباد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فزحف إليه ونهض عثمان بن أبي العلاء إلى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلحم من كان معه من جند الفرنج وهلك في تلك الوقعة عبد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بن أبي العلاء إلى قصر كرامة فدخله واستولى على جهاته وكان بطالا من الأبطال وعلى اثر ذلك كان رجوع السلطان أبي ثابت من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحي أثر النفاق فاعتزم على النهوض إلى بلاد غمارة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبته من يد ابن الأحمر المتغلب عليها لأنها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله

: فهض السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى إلى قصر كرامة فتلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والزماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارة ، وكان عثمان بن أبي العلاء قد فر أمامه إلى ناحية سدة فسار السلطان أبو ثابت في اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ، ثم نازل بلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية وانتهب الاموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه إلى القصر في وسط

بإيادهم وبالفوا في تزييفه وإكرامه ودخلوا معه القصر وآصلا ونهروا كثيرا من مال أهلهم ، ثم ارتحل السلطان أبو ثابت إلى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبع مائة وتحصن ابن أبي العلاء بسبته مع أوليائه من ابن الأحمر وسرح السلطان أبو ثابت عسكره ففرقت في نواحي سبته بالغارات واكتساح الأموال



بناء مدينة تطاوين



ثم أمر السلطان باحتطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره وللاخذ بمخزن سنة هكذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون . واعلم أن تطاوين هذه هي تطاوين القديمة وقد تقدم لنا أن قصبتها بنيت في سنة خمس وثمانين وست مائة وذلك لأول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو فاتح سنة ثمان وسبع مائة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فإن بناءها كان محكما وثيقا ، واستمرت هذه المدينة عامرة إلى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبا يأتي الخبر عن ذلك مستوفي إن شاء الله تعالى ، قالوا : ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها في لسان البربر العين ووين وهي كناية عن المخاطب نحو يافلان وما أشبه ذلك ، قالوا : والسبب في تسميتها بذلك أنهم في وقت احتطاطهم لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين تطاوين ، أي يافلان افتح عينك لأن عادة الحارس أن يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها ويظهر أن هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط ومعناها العين ووين معناها المقلة ومعنى مجموع الكلمتين مقلة العين والاضافة مقلوبة كما هي في لسان بعض الأمم العجمية فإنه لا مستند له والله تعالى أعلم ولما شرع السلطان أبو ثابت في بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبي الصبر إلى ابن الأحمر صاحب سبته في شأن النزول

له عن البلد وأقام هو بقصة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفي(*) يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعماية ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فوورى هنالك رحمة الله عليه وعليهم



الحبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر

عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن يوسف المعروف بابن زريقاء وهى أمه ، وعلى هذا هو الذى قتل شيوخ المصاعدة بكتاب ابن الملياني كما تقدم وخلص الملا من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أبى الربيع المذكور أخى أبى ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه على بن زريقاء وسجنه بطنجة فبقى مسجوناً بها الى أن هلك سنة عشر وسبعماية وبث السلطان أبو الربيع العطاء فى الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفا له الامر ، ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه وأرضاهم بالمال كذلك ، ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبى العلاء من سبته فى جيش كثيف ليضرب فى محلته ليلا فنذر به عسكر السلطان أبى الربيع فأسهروا ليلتهم وباتوا على صهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك فأنجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبى الربيع الظهور الذى لاكفاه له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر من الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الاحمر صاحب غرناطة

ولما رأى عثمان بن أبى العلاء ذلك سقط فى يده وأيس من المغرب فعبس

(*) ذكر فى روضة السرين فى دولته بنى مرين لابن الاحمر أنه توفي مسموما

ابحر فيمن معه من القرابة الى الاندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء وعلا أمره بالاندلس وزاحم بنى الاحمر ملوكها فى رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الامر من أيديهم وشرقوا بدائه ومارسهم ومارسوه مدة طويلة ، وعدلوا فى أمره الى المصانعة والمجاملة فى أخبار ليس جلبها من غرضنا الى أن توفى ، لكننا نذكر من ذلك انموذجا يستدل به النواقف عليه على ما وراءه ، فقول : « لما توفى عثمان بن أبى العلاء رحمه الله كتب على قبره ما صورته : « هذا قبر شيخ الحمة و صدر الابطال والكمأة ، واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام ، صاحب الكتاب المصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف ، القائم باب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعاد وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله ابن عبد الحق »

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفق ما بين روحه فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار ، مصاد ما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره فى الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طوى أنوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فازتجت الاندلس بعده أنصفه الله برحمة من عنده توفى يوم الاحد الثانى لذي الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة رحمه الله .

وأما السلطان أبو الربيع فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى

عشر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعمائة فقام بها سنة المولد الكريم وفرق الاموال واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته مجتبا ثمرة ملكه ، وكان في أيامه غلاء الا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا في أنمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين ، وتنافس الناس في البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وأنواع النقوش ، وتناغوا في لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب وافتاء الحلوى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى



نكبة الفقيه الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك



كان الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين شعيب بن مخلوف من بنى أبي عثمان احدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير ، وكان بيته يبيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وفوض اليه في حسابان الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاته والافضاء اليه بسر ، ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف رتبة هذا الرجل وشفع لديه حظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره ، ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد بن أبي مدين بأموار دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبي محمد فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلتت من تلك النكبة كما ذكرناه

فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة هذا بداره ففى بعض المهن فبأشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعية بأبى محمد بن أبى مدين ، وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع أنه يختلى مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدرس الى السلطان « بن ابن أبى مدين يعرض باتهامك فى ابنته وأن صدره قد وعر لذلك وانه مرصد باندولة ومتربص بها الدوائر » فمكنت سعائته من السلطان وطن أنسه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبى مدين بما كان له من الوجاهة فى الدولة ومداخلة القليل فاستعجل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس الى قائد جند الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبى بكر بن العربى فرصده وأتاه من خلفه فطعنه طعنة كبتة على ذقنه واحتر رأسه وألقاه بين يدى السلطان أبى الربيع ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودى وأظله على خبئه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبى مدين معه الى السلطان يتصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده ، فتنبه السلطان لمكر اليهودى وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لم ينفعه التدم ، وفك لحينه بخليفة بن وقاصه وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثالا للآخرين



انتقاض أهل سبته على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين



كان أهل سبته قد سُموا ملكة أهل الاندلس وثقلت عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبى العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبى الربيع فانتهاز الفرصة فيهم وعقد لثقتهم تاشفين بن يعقوب الوطاسى أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بنى مرين وسائر طبقات الجند وبعثه الى سبته فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمتشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين

وثاروا على من كان بسبته من حامية ابن الاحمر فاخرجوهم منها ، واقترح تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمائة وتقبض على قائد القصة أبي زكرياء يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبي الحسن بن كماشة وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطير تاشفين بالخبر الى السلطان أبي الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل ذلك بابن الاحمر فضاق ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى القرصة وملكوها ، فقلب رأيه ورأى أن يجنح الى السلم مع السلطان أبي الربيع لشدة شوكته ولكلب الطاغية عليه فى أرضه لولا أن غزاة بنى مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاحمر وهو أبو الجيوش نصر ابن محمد أخو المخلوع الذى كان قبله ، وأوفد رسله على السلطان أبي الربيع راغبين فى السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان أبي الربيع فى الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما أراد ، وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاحمر اياها وبعت السلطان أبو الربيع اليه بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقته عثمان بن عيسى اليرباني أخى وزيره ابراهيم بن عيسى واتصلت بينهما الولاية الى أن توفى السلطان أبو الربيع رحمه الله



انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى على السلطان أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب فى ذلك



لما انعقد الصلح بين السلطان أبي الربيع وابن الاحمر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت رسل ابن الاحمر لا تزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس فقدم منهم ذات يوم بعض المنهمكين فى اللهو المدمنين للشرب والقصف ، فكشف صفحة وجهه فى معاقرة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس ، وكان السلطان أبو الربيع قد عزل قاضى فاس أبا غالب المغلى وولى القضاء مكانه

سبح الله عليه أبو الحسن الزرولبي المعروف بالصغير صاحب التقييد على المدونة
وكن رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر ، فسبق إليه ذات يوم هذا
الأمسي وهو سكران فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر
وأدوا شهادتهم على ذلك ، فأمضى القاضي حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم
الأمسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي ويقال له
ريحو باللسان الزناني فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه سوء
هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالانتم ولعله
كن في قلبه شيء على القاضي فأمر وزعته باحضاره على أسوأ الحالات وعزم
عسى يبش به فبادروا اليه ، واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ونادى فى
مستمين فارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق ، واتصل
الخبر بالسلطان فلانفى الامر وأحضر أصحاب الوزير فضرب أعناقهم وشرد
بهم من خلفهم جزاء الله خيرا ، فأسرها الوزير فى نفسه ودخل الحسن بن
عيسى بن أبى الطلاق من بنى عسكر بن محمد وكان من شيوخ بنى مرين وأهل
اشورى فيهم ، ودخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة
النجند وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروا على السلطان ،
فدعاهم لخلع طاعة السلطان أبى الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد
ابن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم ،
ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة
فر الوزير المذكور وقائده الفرنجى ومن شايهم على رأيهم فخرجوا الى ظاهر
البلد الجديدة وجأهروا بالخلعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد
الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبسو ، ثم ساروا الى
ناحية تازا ولما استقروا برابطها أخذوا فى جمع الجيوش ومكاتبه الخاصة من
بنى مرين والعرب يدعونهم الى بيعة سلطانهم والمشايعه لهم على رأيهم وأوفدوا
عسى أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه الى
المظاهرة على أمرهم واتصل البد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم
يقدم ولم يحجم وبقي ينتظر عماذا ينجلي أمرهم ، واتصل خبر ذلك كله

بالسلطان أبي الربيع فنهض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي في جيش كثيف من بني مريس ، وسار هو في ساقبتهم واتصل خبر خروجه بعد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازا ولحقوا بتلمسان ، وكانوا يظنون أن السلطان لا يخرج اليهم وحمد أبو حمسو عاقبة توقفه عن نصرهم ويثسوا هم من صريخه اياهم ، ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره الى الاندلس ورجع الحسن بن علي ومن معه الى السلطان أبي الربيع بعد أن أخذ منه الامان وهلك رحو بن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة ، ولما احتل السلطان أبو الربيع تازا حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأتخذ في حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبي ، ثم اعتل أياما أثناء ذلك فتوفي تازا بين العتاهين ليلة الاربعاء منسلسخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وسبعمائة ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الأعظم من تازا رحمه الله



الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والعفاف جوادا متواضعا متوقفا في سفك الدماء لقبه : السعيد بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الامير ابي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي ، ولما هلك السلطان أبو الربيع تازا في التاريخ المتقدم تناول الامر عمه أبو سعيد الاصغر وهو عثمان بن السلطان يوسف وخب في ذلك ووضع وأسدى وألحم فلم يحصل على شيء واجتمع الوزراء والمشايخه بالقصر بعد هدأة من الليل وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبي سعيد الأكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستدعوه فحضر . فبايعوه ليلتذ ، وتم أمره وأنفذ كنه الى النواحي والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الأكبر الامير أبا الحسن علي بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمائة وملك قصر الخلافة بالحضرة

وحتوى على أمواله وذخيرته ، وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان أبى سعيد
بصهر تزا على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالى
وصنوع والعلماء والصلحاء وتقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام
بأمر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين
ورفع الفضائل وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس ما
كان ينزله رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة فصلح حال الناس فى أيامه
ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها
وقدم عليه وفود التهئة من جميع بلاد المغرب ، ثم خرج فى ذى القعدة الى رباط
الفتح تفقد الاحوال والنظر فى أمور الرعية وانشاء الاساطيل الجهادية فعيد
هناك عيد الاضحى وبأمر الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار الصناعة من
سلا برسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس ففقد سنة احدى عشرة وسبعمائة
لأخيه الأمير أبى البقاء يعيش على نفور الاندلس الجزيرة وردة وما اليهما من
انحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الى ناحية مراكش لما كان بها
من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله
السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه
موتقاً فى الحديد الى فاس فأودعه المطبق وقفل راجعاً الى حضرتة فاحتل بها
مؤيداً منصوراً والله تعالى أعلم



غزو السلطان أبى سعيد ناحية تلمسان



كان بنو مرين قد حقدوا على أبى حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه
فى أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى وتسهيله الطريق
لهم الى الاندلس ومداينته فى ذلك ، وكان مقتضى الصلح المتعقد بينه وبين
السلطان أبى الربيع أن يقبض عليهم ويبعث بهم اليه حالاً فحقد بنو مرين على
أبى حمو ووجدوا فى أنفسهم عليه ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد

واستوسق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعترم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة أربع عشرة ، ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنه الاميرين أبا الحسين وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التبية فاكسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حموا بالاسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بنى يزناسن وأمنخن فيهم ، وانتهى في قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على أبي حمو ورجع السلطان أبو سعيد على التبية فاتته الى تازا فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره



خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك



كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الأكبر من أمته الجبشية وهو أبو الحسن علي بن عثمان ، وثانيهما وهو الأصغر من علجة من سبى الفرنج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الأصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ، ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه المجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كبه ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرباني من كبار الدولة ووجوهها ، وكان أخوه الأكبر أبو الحسن شديد البرور بأبيه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه على انحاش هو أيضا اليه وصار في جملة وخلق نفسه بحاشيته طاعة لايه ومسارة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه ملسوك النواحي وخاطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص

وكذلك يستبد بالامر كله

وقد قتل السلطان أبو سعيد من تلمسان أواخر سنة أربع عشرة وسبع مائة
ثم قدم بزازا وبعث ولديه إلى فاس فلما استقر الأمير أبو علي بها حدثته نفسه بالقيام
على أبيه وخنق طاعنه ، فراوده المداخلون له على التبرص حتى يمكر بأبيه
ويقبض عليه باليد فأبى واستعجل الامر وركب الخلف وجاهر بالخلعان ، ودعا
نفسه فطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم ، وعسكر
بساحة البلد الجديد يريد غزو أبيه ، فبرز السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره
يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم بدا للأمير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى
وعزم على القبض عليه لانه بلغه أنه يكتب أباه فيبعث للقبض عليه عمر بن يخلف
المودودي ، وتفطن الوزير لما أراده من المكر به فقبض هو على المودودي ونزع
إلى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضى عنه ، وكان الأمير أبو الحسن قد لحق
بأبيه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل إلى لقاء
ابنه أبي علي ، ولما تراء الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازا اختل مصاف
السلطان وانهمز جريحا إلى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصره بها ، ويقال أن أبا
الحسن انما لحق بأبيه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي
ببصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط ،
فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهل الأمصار
واستحكم العقد بينهما وانكفأ الأمير أبو علي راجعا إلى حضرة فاس مملكا على
المغرب وتوافت اليه بيعات الأمصار ووفودهم واستوسق أمره

ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بلطفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب
وذلك أن الأمير أبا علي اعتل عقب وصوله إلى فاس واشتد وجعه حتى أشرف
على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بموته فتسابلوا إلى والده
السلطان أبي سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وحملوه على تلافي الامر
وانتهاز الفرصة ، فهض من تازا واجتمع اليه كافة بني مرين والجند وعسكر
على البلد الجديد وأقام محاصرا له وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الأمير أبي
الحسن ما كان لأخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للأمير

أبى على احتلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح على أن يعوض سبعمائة وما والاها فأجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سبعمائة سنة خمس عشرة وسبعمائة فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون الدواوين واستلحق واستركب واستخدم طواعن العرب من بنى معقل وافتح معاقل الصحراء وقصور توات وتكرارين وتامنطيت وغير ذلك .

وأما السلطان أبو سعيد فإنه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لآخيه ووفدت عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الي طاعته ، وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار السنارة بالمدينة المذكورة وفيها سار الى مراکش فأقام بها أياما حتى أصلح شؤونها وعاد الى الحضرة .

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن محمد الكنانى وكان السبب فى ذلك أنه لما تار الامير أبو على على أبيه وخلعه انحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبي على عاد منديل الى السلطان أبى سعيد وترتب فى منزلته التى كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انجاشه الى أخيه لما كان بينهما من المناصفة وكان هو كثيرا ما يوعز صدر أبى الحسن بايجاب حق أخيه عليه وامتتهان فى خدمته ، فطوى له أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو على الى سبعمائة وانفرد أبو الحسن بمجلس أبيه وخلالله وجهه أحكم السعاية فى منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما بغضب السلطان فى المحاوراة والخطاب دالة عليه وكبرا ، فاعتد السلطان عليه بشئ من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يفره به فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وأذن لابنه أبى الحسن فى نكته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعا وذهب فى الناهبين ، وأبوه أبو عبد الله محمد الكنانى هو الذى بعثه السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصى عند فتح مراکش وعاد اليه منه بالهدية صلبة وفد أهل تونس وتلطف أبو عبد

الله الكنانى حتى ذكر المستنصر فى الخطبة على منبر مراکش وفرح الوفد
بذلك حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى ، ونشأ ابنه منديل هذا فى ظل الدولة
المرينية فكان من أمره ما قصصناه عليك



وفادة أهل الاندلس على السلطان أبى سعيد واستصراخهم إياها على الطاغية وما نشأ عن ذلك



كان الملوك من بنى مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر
منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله فى آخر أمره بحصار تلمسان
واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فتطاول العدو وراء البحر
على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع أن القرابة من بنى
مرين كانوا شجى فى صدره وقذى فى عينيه فى تلك البلاد حسبما ألقنا اليه غير
مرة ، ولما أفضى الأمر الى السلطان أبى سعيد اشتغل فى صدر دولته بأمر ابنه
أبى على وخروجه عليه ، فاهتبل الطاغية الغرة فى الاندلس وزحف فى جموعه الى
غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الطاغية بطرة
ابن سانحة ويقال دون بطرة وقد نهنا على لفظة دون فيما سبق ذهب الى طليطلة
ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه
استئصال ما بقى من المسلمين بأرض الاندلس وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية
الاهبة ، فوصلت أنفاله ومجانقه وآلات الحصار والاقوات فى المراكب وتقدم
فى جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة وكان رديفه فى ذلك الجند علجاً آخر يقال له
جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قيل سبعة وقيل أكثر
وامتلات الارض بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس ، وكان
جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفاً من الفرسان وعلى نحو مائة
ألف من الرجال المقاتلة

ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان أبى سعيد فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحاتها الشيخ أبو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي والشيخ أبو اسحق بن أبى العاص وغيرهم فاعتذر اليهم السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبى العلاء من دولتهم ومجله من دار ملكهم ، وكان عثمان بن أبى العلاء يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمئة حسبا من فشرط عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنوه منه ليتأتى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمه حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم ، فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبى العلاء وادلاله بأسه وبأس عشيرته فاختلق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطعموا في التهامها

ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقهم ودافع بقدرته عنهم وهباً لعثمان بن أبى العلاء في الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة وسبعمئة عمد عثمان بن أبى العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بني مرين منهم نحو المائتين وقيل أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرنج فظن النصارى أنهم انما خرجوا لامر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية وردفه جوان صمموا نحوهما حتى خالطوهما في مراكزهما فصرعوهما في جملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الادبار واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شنيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكسحت أموالهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قطارا ومن الفضة مائة وأربعون قطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبا كتب بذلك بعض الفرناطين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل

الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك ،
 قُت : « هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة » قالوا : وزادت عدة القتلى في
 هذه الغزوة على خمسين ألفا» ويقال : «انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم
 معرفتهم بالطريق » واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك
 سبعة جميعهم ، وقيل خمسة وعشرون واستمر البيع فى الاسرى والسبى
 والدواب ستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن
 العجب أنه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وسلخ
 النفاغية بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنين وطلبت
 انتصارى الهندنة فعدت لهم والله تعالى أعلم



انتقاض الامير أبى علي على أبيه السلطان أبى سعيد وما نشأ عن ذلك



لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو علي صاحب سجلماسة
 والصحرء على أبيه السلطان أبى سعيد وتغلب على درعة وسما الى طلب مراکش
 فعقد السلطان أبو سعيد على حربه لآخيه الامير أبى الحسن وأغزاه اياه ، ثم
 نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها لكدوز
 ابن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ، ثم لما كانت سنة اثنين وعشرين
 وسبعمائة نهض الامير أبو علي فى جموعه من سجلماسة وأغد السيسر الى
 مراکش فاقحمها بمساكره قبل أن يجتمع لكدوز أمره وتقبض عليه وضرب
 عنقه ورفع على القاعة وملك مراکش وسائر ضواحيها

وبلغ الخبر الى السلطان أبى سعيد فخرج من حضرته فى عساكره بعد أن
 احتشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات وقدم بن يديه ابنه الامير أبى الحسن
 ولى عهده وجاء هو على ساقته وساروا على هذه التعية ، ولما انتهوا الى وادى
 ملوية اتصل بهم الخبر أن أبأ على يزيد أن يسيتم فأسهروا ليلتهم وباتوا على
 ظهور خيلهم وبعد مضى جزء من الليل طرقهم أبو علي فى جموعه فكانت الدبرة

عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد في أثره وكان قد سلك جبل درن فافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الأمير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحي مراكش وعقد عليها لموسى بن علي الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلعه وامتدت أيام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الأمير أبو علي بالخضوع ورغب اليه في الصفح والرضا والعود الى السلم فاجابه السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الأمير أبو علي بمكانه من مملكة القبلة الى أن هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله



بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله



قد تقدم لنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق التنبية عليه، ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها اليه الطاغية سائجة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك ، واقفني أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية ، فأمسكوا بسبب ذلك من رفق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا .

ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت آتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر ، وحبس عليها الرباع والضياح ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده وفي سنة احدى وعشرين بعدها بنى ولي عهده الأمير أبو الحسن المدرسة

اسى بفرىبى جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكمل الهيات وأعجبها
وبنى حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك
كنه من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جلية
تزيد على مائة ألف دينار ، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وجلس عليها رباعا
كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الانفاق والكسوة نفعه الله
بقصده .

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو
سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة اليوم
بمدرسة العطارين ، فبنيت على يد الشيخ أبى محمد عبد الله بن قاسم المزوار
وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه فى جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست
وشرع فى بنائها بمحضره ، فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث
لم يكن ملك قبله مثلها ، وأجرى بها ماء معينا من بعض العيون هنالك وشحنها
بالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء للتدريس
العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية ، واشترى عدة أملاك
ووقفها عليها احتسابا بالله تعالى ، وسباني التنبيه على ما بناه ابنه أبو الحسن من
ذلك أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله ، وبالجمله ، فقد كان
لبى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى
الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها ، وفى مثل ذلك يحسن أن ينشد :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فألسن النيران
ان البناء اذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن



أخبار بني العزفي أصحاب سبتة



قد تقدم لنا أن الرئيس أباسعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبتة وقبض على رؤسائها من بني العزفي ، وغر بهم الى عرناطة سنة خمس وسبعمئة فاستقروا هنالك في ايلة السلطان ابن الاحمر المعروف بالمخلوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المريني على سبتة ونفى بني الاحمر عنها استأذنه بنو العزفي في الرجوع الى المغرب والقدم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبو زكرياء يحيى وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي من سرواتهم وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من انتحاله ، وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بني أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن الصغير وكان أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده ، فلما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد رعى لبني العزفي تلك الوسيلة فأنعم عليهم وعقد لابي زكرياء منهم على سبتة وردهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبعمئة ، وأقاموا فيها دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته

ولما فوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبي علي الامر وجعل له الايرام والنقض عقد أبو علي على سبتة لابي زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل أبا زكرياء يحيى بن أبي طالب منها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس أثناء تلك المدة * ثم كان من خروج الامير أبي علي الى أبيه وانتقاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكرياء بن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه اللائر عليه واستمروا في جملة الى أن مرض الامير أبو علي

* في شعبان عام ثلاثة عشر وسبعمئة كما في الجندوة

(الاستقما - ثالث - 8)

وزحف أبود اليه وحاصره بفاس حسبما مر ، فحينئذ عقد السلطان أبو سعيد
 زكرياء على سبته ثانيا وبعث اليها ليقم دعوته في تلك الجهات وترك ابنه
 محمد بن أبي زكرياء تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكرياء بامارتها
 وأقام دعوة السلطان أبي سعيد بها واتصل ذلك منه نحو سنتين ، ثم هلك عمه أبو
 حاتم بسبب سنة ست عشرة وسبعمائة وانتقض أبو زكرياء بن أبي طالب على
 السلطان أبي سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد
 واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان الذي كان خرج على السلطان أبي
 الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق
 به كلمة بنى مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأنهم
 واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سعيد فقام وقعد وجهاز الى سبته العساكر من
 بنى مرين وعقد على حربها للوزير ابراهيم بن عيسى اليرباني فزحف اليها
 وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكرياء بحبس ابنه عنه ومفارقته له وانه اذا رجع اليه
 ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد
 ليسلمه الى أبيه بعد أن يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبي
 زكرياء بان ابنه قد قدم وانه كائن بفسطاط الوزير بساحل البحر بحيث تنأى
 الفرصة في أخذه فبعث أبو زكرياء الى عبد الحق بن عثمان قائد الحرب وأعلمه
 بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ، ثم هجم ليلا في جماعة من
 حاشيته على فسطاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر
 الوزير بالهزيمة فركبوا وتبعوا الاثر فلم يبقوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذي
 كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بانه مالا شيعه أبيه على أخذه والا فلا
 يقدم أحد هذا الأقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبضوا على الوزير
 وحملوه الى السلطان ابلاء في الطاعة وابلاغاً في العذر فشكر لهم ذلك واطلق
 الوزير لعلمه براءته ونصحه



ثم رغب أبو زكرياء بعدها في رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكرياء فإن له صدقه وعقد له على سبته واشترط هو على نفسه حمل الجباية الى السلطان واسناء الهدية في كل سنة واستمر الحال على ذلك الى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمائة وفام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكرياء الى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرايتهم ، وكان قائد الاساطيل بسبته ولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحي الى الاندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبته واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الامر على بنسى العزفي بها

فانتهم السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبته بايتاء طاعتهم وعجز محمد ابن أبي زكرياء عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه فعرض للامر في أرواغ من لفيفها اجتمعوا اليه فدافعهم الملا من أهل سبته عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفي الى السلطان أبي سعيد فانقادوا اليه واحتل السلطان بقصبة سبته وثقف جهاتها ، ورم مثلها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها ، فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميته وعقد لابي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانها واخراج الاموال للنفقات فيها ، وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر أقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبته فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعا الى حضرته ، وقد ذكر ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي زكرياء هذا فقال فيه ما صورته : « فرع تأودمن الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تله وتله والدهر يسير أمه الاقصى ويسهل حتى اسقت أسباب سعده وانهت اليه رياسته سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقرها بعد ما شطت ثم كليخ له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعر عانسيه الذي كان تبسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم

لا يمدح وإن كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جناية واسعة ورعاية متتابعة . «
الى آخر كلامه ويعنى بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم



المصاهرة بين السلطان أبى سعيد في ابنه أبى الحسن وبن أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى والسبب في ذلك



كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن
ساحب تلمسان قد ضايق بنى أبى حفص أصحاب تونس وأفريقية فى بلادهم
واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعوث والسرايا الى أطراف ممالكهم
وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه
ليحيى بن موسى من صنائع دولته ، ونصب مع ذلك الملك تونس وأفريقية بعض
أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبى عمران كان لجأ اليه فى بعض الفتن التى
كانت له مع بنى عمه ، وتقدم هذا الجيش الى أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى
فبنزموه واقتحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا الملكها والولاية عليها
محمد بن أبى عمران المذكور ، ليس له من المالك الا الاسم ، والامر كله بيد يحيى
ابن موسى قائد الجيش ، وخلص السلطان أبو بكر بن أبى زكرياء الحفصى الى
بونة جريحا مطرودا عن كرسي ملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفاة على
السلطان أبى سعيد المرينى ليأخذ له حقه من آل يغمراسن المتغلبن عليه وأراد مع
ذلك تجديد الوصلة التى كانت لسلفه مع بنى مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن
سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبى زكرياء صاحب الثغر استكفا له عن مثلها فقبل
اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أبا محمد عبد الله بن
تافراجين نافضا أمامه طرق المقاصد والمجاورات ونزلوا بمرسى غساسة من
ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبى سعيد بحضرته فأبلغوه رسالة أبى بكر
الحفصى فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين :
« والله لا بدلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولا سيرن بعساكرى الى

تلمسان فأنزلها « وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفصى بعاكره الى منازل تلمسان معه فقبلوا وانصرفوا الى منازلهم مسرورين

ونھض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمئة ولما انتهى الى وادى ملوية وعسكر بصرة جاءه الخبر اليقين بعود أبي بكر الحفصى الى تونس وجلوسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكرياء ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم من غساسة

وبعث معهم ابراهيم بن أبي حاتم العزفى والقاضى بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان أبي بكر الحفصى لابنه الامير أبي الحسن فوصلوا الى الحفصى وأدوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم فى ابنته فاطمة شقيقة الامير أبي زكرياء وزفها اليهم فى أساطيله مع مشيخة الموحدين وكبيرهم أبي القاسم بن عتو ، فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمئة فقام بنو مرين لها على أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظھر الى غساسة لركوبها وحمل أنقالها ، وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يسمع بمثله فى دولتهم وتحدث الناس به دهرا وهلك السلطان أبو سعيد بين يدى موصلها كما نذكر



وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما بلغه الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى سنة احدى وثلاثين وسبعمئة ارتحل بنفسه الى تازا ليشارف أحوالها كرامة لها ولايتها وسرور ابعرس ابنه فأقتل هناك وازداد مرضه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به الى العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة ، وحمله فى فراشه على اكتاد الحاشية والجند حتى نزل بوادى

سبوا ، ثم أدخله كذلك ليلا الى قصره فأدركته المنية في طريقه فتوفي ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسعمائة ، وكان مرضه بعلة النقرس فوضعه بمكانه من بيته واستدعى ابنه أبو الحسن الصالحين لمواراته فدفن(*) ببعض قبابه رحمه الله وكانت أيامه أعيادا ومواسم ، ومن أكابر كتابه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي



الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله ابي الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان هو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضعفهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والاندلس ، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لان أمه كانت حبشية* فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود أكحل وانما الأكحل فى لسان العرب أكحل العينين فقط ، وكان أخوه أبو على لملوكة من سبى النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا على الحضرة وأبو على ملكا على بلاد القبله فكانا أخوين ملكين فى عصر واحد أحدهما أسمر والاخر أبيض فعرف هذا بالأكحل والاخر بالابيض للمقابلة ولما هلك السلطان أبو سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة على ولى عهده أبى الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم فقامر للحين بنقل معسكره من ناحية سبو الى الزيتون من ناحية فاس ، ولما فرغ من دفن أبيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بفسطاطه ، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار فى لسان زناتة معناه الرئيس وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطاني قديم الولاية فى ذلك منذ

(*) الذى فى كتاب روضة النسرين فى دولة بنى مرين أنه دفن بشالة

* تسمى العنبر

عهد السلطان يوسف بن يعقوب ، ثم زفت على السلطان أبى الحسن زوجته
الحفصية فبنى بها بمكانه من المعسكر المذكور وأجمع رأيه على الانقاص لابيها من
عدوه أبى تاشفين الزياني على ما ذكره



حدوث الفتنة بين الاخوين ابى الحسن وابى على ثم مقتل ابى على والسبب فى ذلك



كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه أبى الحسن وتحقق
مسيره اليه كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبى على لكلفه به ونفقه عليه فلما خلص
الامر الى أبى الحسن وكان موثرا رضا أخيه جهده اعترم على الحركة الى
سجلماسة لمشاركة أحوال أخيه واختبار أمره وما هو عليه من سلم أو حرب
ليعمل على مقتضى ذلك ، فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة
فناقته وفود أخيه أبى على أثناء الطريق مؤديا حقه وموجبا مبرته ومهنتا له بما آتاه
الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاف عن المنازعة له قانع من تراث أخيه بما
فى يده طالب منه أن يعقد له بذلك ، فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل
وعقد له على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أخيه وأشهد على
ذلك الملاء من بنى مرين وسائر زناتة والعرب ، وانكفأ السلطان أبو الحسن
راجعا الى تلمسان عازما على الانتقام من أبى تاشفين الزياني فسار حتى انتهى
الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظرا القدوم صهره
السلطان أبى بكر الحفصى عليه وفاء بالعهد الذى كان انعقد له مع
السلطان أبى سعيد أيام وفادة ابنه ابى زكرياء عليه من انهما يكونان يدا واحدة
على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فعسكر أبو الحسن
بتاسالت ثم بعث بحصة من جنده فى البحر الى صهره الحفصى مددا له وهو
يومئذ بجاية يقاتل جيش بنى زبان عليها .

ولما اتصل الخبر بأبى تاشفين صاحب تلمسان فكر فى أمر أبى الحسن وأعمل الحيلة بأن دس الى أخيه الامير أبى على صاحب سجلماسة فى اتصال أئيد به والاتفاق معه على أخيه أبى الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكن منه ووعد أبو تاشفين ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا من قبله ، ثم سرح العساكر الى جهة مراکش وأجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن وهو بمعسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصى عليه فانكفأ راجعا الى الحضرة مجعاً الانتقام من أخيه ، ولما انتهى فى طريقه الى حصن تاويرت شخنه بالعسكر وعقد عليه لابنه تاشفين بن أبى الحسن ووقف أمره على نظر مندبل بن حمامة شيخ بنى تبرعين ثم أعاد السير الى سجلماسة فنزل عليها وأخذ بمخقتها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغادياها بالقتال ويراوحها حولاً كاملاً ونهض أبو تاشفين فى عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كى يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فأنتهى الى تاويرت فبرز اليه تاشفين بن أبى الحسن فى عساكر مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ، ثم بعث بحصنة من جنده مدداً للامير أبى على فسرّبوا الى سجلماسة جماعات وأفذاذا حتى تكاملوا لديه فلم يغنوا شيئاً وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزل بهم أنواع النكال حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبع مائة وتقبض على الامير أبى على عند باب قصره وجيء به الى أخيه أبى الحسن وقد خامره الجزع فلما مثل بين يديه تضرع اليه وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتثقيفه وحمله على بغل الى فاس وانكفأ هو راجعاً الى الحضرة فلما دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدأ وخنقا وكانت سن أبى على يومئذ سبعا وثلاثين سنة وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرها وكان رقيق الحاشية ينتمى الى الادب وهو الذى استقدم أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى من سبتة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبى على يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم
 الدهر مذ كان لا يبقى على صفة
 أين الملوك التي كانت تهابهم
 أسد العرين ثوروا في اللحد والكفن
 بعد الاسرة والتيجان قد محيت
 رسومها وغفت عن كل ذى حسن
 فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا
 واستغن بالله فى سر وفى علن
 واختر لنفسك أمرا أنت أمره
 كأننى لم أكن يوما ولم تكن



وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان ابى الحسن بحضرة فاس

وفتح جبل طارق



لما هلك السلطان أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبى سعيد فرج بن الاحمر
 المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبى الجيوش ، قام بالامر بعده ابنه
 محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شب وعقل
 وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبعمائة
 وزاحم الفرنج به تغور المسلمين وصار شجى فى صدر الدولتين المرينية
 والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى أن بويغ الامير السلطان أبو الحسن
 وكان له رغبة فى الجهاد اقتداء بمذهب جده يعقوب بن عبد الحق فبادر السلطان
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر الى الوفادة عليه لاحكام عقد المودة معه وللمفاوضة
 فى أمر الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح لدولته فقدم عليه بدارملكه بفاس سنة
 اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأكبر السلطان أبو الحسن موصله وأركب
 الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ فى اكرامه ، وفأوضه
 ابن الاحمر فى شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال
 الجبل واعتراضه شجى فى صدور التغور وقبل وشكى اليه أمر بنى عثمان بن أبى
 العلاء لانهم كانوا قد استظالوا عليه فى أرضه فأشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى

فى أسباب الجهاد ، وكان يومئذ مشغولا بفتنة أخيه أبى على ومع ذلك فقد أمدّه بالجند وعقد لابنه أبى مالك على خمسة آلاف من أنجاد بنى مرين وأنفذهم مع ابن الأحمر لمنازلة جبل الفتوح فاحتل أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتتابعت اليه الأساطيل بالمدد ، وأرسل ابن الأحمر فى الأندلس حاشرين فتسائل الناس اليه من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبلوا فى منازلته البلاء احسن الى أن فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وافتحمه المسلمون عنوة ونقنهم الله من كان به من النصارى بما معهم ، وشرع المسلمون فى شئنه بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم خوفا من كره العدو وبأشر نقلها الاميران أبو مالك وابن الأحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه ، ووصل الطاغية بعد ثلاث من فتحه فأناخ عليه وحاصره وبرز أبو مالك بعساكره من الجزيرة فنزل بازائه وزحف ابن الأحمر فنزل بازائه أيضا ثم خاف ابن الأحمر عادية العدو لقرب العهد بارتجاع الجبل وخفة من به من الحامية والسلاح ، فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلابا بائعا نفسه من الله فى رضا المسلمين وسد خلتهم فتلقيه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له وأجابه الى ما سأل من الإفراج عن هذا المقل وأتحفه بذخائر مما لديه وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك فى تحصين ذلك الثغر وسد فروجه وقال أبو العباس المقرئ فى الفتح : ارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارق بعد أن أنفق عليه الأموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم ببنائه وتحسينه وأنفق عليه أحمال المال فى بنائه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره ومحاربه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصر المسلمون وخيب الله سعى الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لايطمع عدو فى منازلته ولايجد سبيلا للتضييق عليه بمحاصرته ، ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق الأموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره

السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد في تحصيله ابنه السلطان أبو غان رحمهما الله تعالى

وأما ابن الأحمر فإن أولاد عثمان بن أبي العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما رأوا ما حصل بينه وبين السلطان أبي الحسن من الوفاق واتصال اليد خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم إذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة المغرب فبخرجهم عليهم ومناذتهم إياهم غير مرة ، وأما دولة الاندلس فباستحواذهم على أهلها ومزاحمتهم إياهم في رياستها فتشاوروا فيما بينهم وفتكوا بابن الأحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف بن اسماعيل مكانه فقام بالامر بعده وشمر للاحذ بثار أخيه فاحتال على بنى أبي العلاء حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غرهم الى تونس الى أن كان من أمرهم ما نذكره



فتح تلمسان ومقتل صاحبها أبي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبنى زيان بمملكته



لما استقام ملك المغرب للسلطان أبي الحسن بمقتل أخيه أبي على صاحب سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام من صاحبها أبي تاشفين الذي ضايق أصهاره من بنى أبي حفص ففى أرضهم ونازعهم فى ملكهم ، وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لاول يعته شفعاء الى أبي تاشفين فى أن يتخلى عن عمل الموحدين ويرجع الى تخوم أعماله التى ورثها عن سلفه وقال له فى جملة ذلك : « كف عنهم ولو سنة واحدة ليسمع الناس انسى نافحت عن صهرى ويقدرُوا قدرى » فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ للرسل فى القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده فى الرد عليهم بمجلسه ونالوا

من السلطان أبي الحسن بمحضره فعاتد الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحمى لذلك وغضب وتأكد عزمه على النهوض الى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتفاض أخيه عليه وعوده اليه من تأسلت ما قصصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض الى تلمسان في هذه المرة فعسكر بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجموع ثم تعجل وعرض جنوده وأزاح غللهم وعبى مواكبه وفصل في التعبئة من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فصار يجز الشوك والمد من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة فجمر عليها الكتاب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم افتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها ، ثم سار على التعبئة حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز اليهم بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحي وحشودها ، ووفدت عليه قبائل مغراوة وبنى توجين فأتوه طاعتهم وسرح كتابه الى القاصية فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبي تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلما مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه في طبقات وزرائه وجلسائه ، وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكرى شيخ بنى عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فصار في الاولى والجنود فطوع ضاحية الشرق وافتتح أمصاره حتى انتهى الى المدينة ونظم البلاد في طاعة السلطان أبي الحسن واحتشد جموعها فلحقوا بمعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات

واختل بغربي تلمسان البلد الجديد لسكناء ونزول عساكره ، وأحيا معالم المنصورة التي كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخر بها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق وآلات من وراء خندقه وجعلت رماته تنضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترتفع شرفاته فوق خندقهم وتماصح المقاتلة بالسيف من أعاليه ورتب المجانيق لرجمها وأحكم عملها لذكها فنالت من ذلك فوق الغاية ،

وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تأنق أبو تاشفين في تشييدها ، وكان السلطان أبو الحسن يصبح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مراكزهم وربما انفرد في طوافه فطاق في بعض الايام متبذا عن الحاشية ، فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونها فرصة كالتى كانت ليغمراسن بن زيان في السعيد الموحدى ، واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد ، وأحسن أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابنه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناحا عسكره وعقبا جحافلهم وتهافت اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار منهزمين لابلوى أحد منهم على أحد ، واعترضهم مهوى الخندق فطارحوا فيه وتهاافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح ، وهلك من بنى توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد ابن سلامة بن على كبير بنى يدلتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما في زناتة الى أشباه لهما استلحموا في هذه الوقعة فحصد هذا اليوم من جناح دولة بنى زيان وحطم منها ، واتصل الحصار مدة من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة اقتحم السلطان أبو الحسن مدينة تلمسان عنوة ، ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره في جماعة من أصحابه منهم ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق ابن عثمان وهو الذى كان خرج على السلطان أبى الربيع وباعه عبد الرحمن ابن يعقوب الوطاسى حسبما مر ، فانه لحق به بعد تلك الوقعة بتلمسان ثم منها الى الاندلس ثم حضر انتفاض العزفى بسنة سنة ست عشر كما مر ثم لحق بأبى بكر الحفصى ثم نزع عنه الى أبى تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشاهده فى جماعة من بنيه وبنى أخيه وكانوا احلاس حرب وقتيان كرهية فمانعوا دون القصر واستماتوا عليه الى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصا الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكضت ابوابها بالزحام حتى

قد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا على مساربهم ، فوطئوا بالحوافر وتراكت
أشلائهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك ما بين السقف ورجة الباب وانطلقت
الأيدي على المنازل نهبا واكتساحا

وأما أبو تاشفين فإنه قاتل حتى قتل ابنه عثمان ومسعود أمامه وخلصت إليه
جراحات فأخذته وتقبض عليه بعض الفرسان فساقه الى السلطان فلقه ابنه الامير
أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل في الحين واحتز رأسه وسخط السلطان ذلك من
فعله لانه كان حربيا على توبيخه وتقريبه ، وقال ابن الخطيب : وقف أبو
تاشفين وبنوه بازاء القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع
وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى أن كثرروا وأعجلتهم ميتة العز عن شد الوفاق
وامكان السمات فكان في شأنهم عبرة رحمهم الله

وخلص السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ
الفتيا تلمسان وهما الامامان الشهيران أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى
ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب
والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدي الجند عن الفساد وعاد
الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو
الحسن على تلك الامارة المؤتلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلى وثمان الذخيرة
وفاخر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال وضروب الرقيق وصنوف
الاناث والماعون ، ورفع القتل عن بنى عبد الواد أعدائه وشفا نفسه بقتل سلطانهم
وعفا عنهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستبعمهم على راياتهم
ومراكرهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين
وسائر زناته وصاروا عصبا تحت لوائه وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ،
فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى نغور عمله بالاندلس
حامية ومرابطين واندرجوا في جملته واتسع نطاق مملكته ، وأصبح أبو الحسن
ملك زناته بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان
المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

مراسلة السلطان أبى الحسن لسلطان مصر
وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله



كان للسلطان أبى الحسن مذهب وراى فى ولاية ملوك المشرق والمكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء فى ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين ديانته ورفيع همته ، ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغربين خاطب لحيته صاحب مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج فى سابلتهم ، وكان سفيره فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف ، فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قربة الى الله تعالى وابتغاء للمنوبة فاتسخها بيده وجمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها وعاء مؤلفا من الأنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال ومثل السابق المقدم فى بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وعريف الوزعة باباه الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم المزوار

واحتفل فى الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرًا قال ابن خلدون . « وقفت على برنامج الهدية بخط أبى الفضل بن أبى مدين الرسول المذكور ووعيته ثم أنسيته وذكر لى بعض قهارة الدار أنه كان فيها

خمسائة من غنق الخيل المرببات بسروج الذهب والفضة ولجها خالصا ومغشى وموها وخمسائة حمل من مناع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفاثق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة الى اللط من خرنى المغرب وماعونه ما تستطرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجواهر والياقوت واعتزمت حذيفة من حظايا أبيه على الحج في ذلك الركب فأذن لها واستبلغ في تكرمها واستوصى بها وفده وسلطان مصر في كتابه ، وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ووصلوا الى مصر في الثانى والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وقدموا هديتهم اليه قبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرا ولقاهم سلطان مصر فى طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبه ، وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من القساطيط المشرقية الغربية الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ فى تكرمهم وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد « اه كلام ابن خلدون ببعض ايضاح

وقد ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق فى كتابه «المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبى الحسن» هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والتمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجواهر الفيس الملوكى ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الانان عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن

المشققات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف
الرفيع ستة عشر ومن الفضلى المنوعة والفرش والمخاد المبوق والحلل ثمانمائة
ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثني عشر كلها
حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلات بالذهب المنظم
بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة
ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية
حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لرمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة
عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة
وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لقط منها مائتان
بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنقة لها أربعة
أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنقة مطبنة بحلة مذهبة وهي من
حرير أبيض ومرباطها حرير ملون وعمودها عاج وأبنوس وأكارها من فضة
مذهبة ومن البزات الاحرار المتتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب
ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال
سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحجج مع الرتبة المكرمة يعنى رتبة
المصحف الكريم ، وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف
 وخمسمائة ذهبا ولقاضى الركب ثلاثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة
وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ، ولشيخ الركب أحمد
ابن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج
ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرباع ستة عشر
ألفا وخمسمائة ذهبا ، وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبى الحسن
أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب الاندلس صلة وصديقة وهدية
فى مرات ، ومنها للملك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلطين السودان كصاحب
مالى ، ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان ، وقال العلامة المقرئ
مؤرخ مصر فى «كتاب السلوك» ما نصه: «وفى ثمان وعشرين من رمضان سنة
ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان
(الاستقفا - ثات - ٩)

ابن يعقوب المرنسي صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جلييلة الى الغاية نزل
لحملتها من الاسطول السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان
من حملتها أربع مائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها
بسروج ولحم مسقط بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك
لجملتها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها
اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها
مائة كساء وغير ذلك من القماش العالى ، وكان قد خرج المهندار الى لقائهم
وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع
الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر
مراتبهم حتى نفذت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فانه احتص به ، فقدرت قيمة
هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها
ورتب لها من النعم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشيرة
ما عهدهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من النعم ونصف
أردب أرزا وقطار حب رمان وربيع قطار سكر وثمان فانوسيات شمعا وتوابل
الطعام ، وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل
أنقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة
الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين
قادوا الخيول ، وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجلب قدره وقيل لها أن تملى ما
تحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد غاية السلطان اكرامها واکرام من معها
حيث كانوا ، فقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن بغا بتجهيزها للاتاق
بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوية وهما كل ما تحتاج اليه فى
سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبجاط وطبا الحماله لحمل
جهازها وأزودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره
أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمثل كلما تأمر به وكسب
لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن
مرزوق فى الهدية والخطب سهل

ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك انعهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس ، قال العلامة أبو العباس المقرئ في نفح الطيب « كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التي تشهد اليها الرحال ، ووقف عليها أوقافا جليلة كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصرى ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله :

«وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها واطر الختمات الشريفة فأيد الله حربه بما سطره من أحزابها ، واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لأملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لا بد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندي ، ورتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحسب أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها ، والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له فى أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاية الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف » اه ، قال المقرئ : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى بيت المقدس وربعه فى غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم

واتصلت الولاية بين السلطان أبى الحسن وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما نذكره بعد ان شاء الله



نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبى الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان أولا وثانيا
ينتظر قدوم صهره السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى عليه لما كان انعقد
بينه وبين أبيه أبى سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على
حصارها ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان فى التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين
الشيخ أبو محمد بن تافراجين شاهدا لذلك الفتح قدم رسولا من عند مخدومه
السلطان أبى بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبى الحسن بأن مخدومه قادم
عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يجب
الفخر ويعنى به ، وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر
بمتيحة منتظرا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصى عن القدوم بسبب تشييط
محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك وقال له : « ان لقاء سلطانين لا
يتفق الا فى يوم على أحدهما » فكره الحفصى ذلك وتقاعد عنه وطال مقام
السلطان أبى الحسن فى انتظاره ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى
تحدث أهل العسكر بمهلكه

وكان ابنه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغين فى ولاية عهده
منذ أيام جدتهما أبى سعيد وكان أبوهما قد جعل لهما لأول دولته ألقاب الامارة
وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات
العطاء واستحقاق الفرسان ، وانفراد كل بعكسره على حدة وجعل لهما مع ذلك
الجلوس بمقعد فضله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى
سلطانه ، ولما اشتد وجع السلطان فى هذه المرة تمشت سمسرة الفتن بينهما
وتحزب أهل العسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما
المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيعا ، وهم الامير أبو عبد الرحمن

بالنوب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطائته بذلك .
وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى
الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه
وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبل يده ، وتقبض على أهل
الظنة من الجيش فأودعهم السجن وسخط على الاميرين وأمر برحيل من كان
معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة
وسكن سعى المفسدين وانتد الناس عن الاميرين المذكورين فبقيا أوحش من
وتد بقاع ، فاشتد جزع الامير أبى عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض
الليل فأصبح بحلة أولاد على أمراء بنى زغبة من هلال الموطنين بأرض حمزة
فقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل وردده الى أبيه فأعقله بوجدة ورتب
العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين أصحاب
تونس فأجاروه ، ورضى السلطان صبيحة فرار أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى
مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ راجعا الى تلمسان
والله أعلم



ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من امره



لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبى عبد الرحمن وأودعه السجن
تفرق خدمه وحشمه فى الجهات ، وكان منهم رجل جزار مرتب فى مطبخه ،
يعرف بابن هيدور وكان له شبه فى الصورة بأبى عبد الرحمن فلحق ببنى عامر
ابن زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن طاعة السلطان أبى الحسن لاختصاصه
عريف بن يحيى أمير بنى سويد أعدائهم ، فلما لحق بهم ابن هيدور هذا اتسب
لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فشبه لهم وبابعوده وأجلبوا
به على نواحى لمدينة فبرز اليهم قائدها فهزموه ، ثم جمع لهم ونزمر بن
عريف بن يحيى فهزمهم وافترق جمعهم ونبدوا للجزار عهده ، فلحق ببنى

يزناتن من زواوة فنزل على شيختهم شمسي من بني عبد الصمد منهم ، وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وعلبت عليهم بقومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستفحل أمرها بهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبي الحسن قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع في الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال في قومها وبنيتها على اسلامه اليه فأبت ثم نعى اليها الخبر بكذبه وتمويهه فبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلحق بالدواودة أمراء رياح من بني هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب له في مثل ذلك فأجاروه ان صدق نسه وأوعز السلطان أبو الحسن الى صهره أبي بكر الحفصي في شأن الجزار فبعث الحفصي الى يعقوب بن علي في ذلك ، فأشخصه الى السلطان أبي الحسن مع بعض حاشيته ، فلحق به بمكانه بسببة يريد الجهاد فامتحنه وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقي المغرب تحت جراية من الدولة الى أن هلك في بعض السنين ، وأما الامير أبو عبد الرحمن فانه لما سجن بوجدة بقي هناك الى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد فقتل عليه رحمه الله الجميع

اخبار السلطان ابي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك



لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدي يده وانفسح نطاق ملكه دعت همة الى الجهاد وكان كلفا به فأوعز الى ابنه الامير أبي مالك أمير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول الى دار الحرب وجهاز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء ، فشخص أبو مالك غازيا وتوغل في بلاد النصرانية واكتسحها وخرج بالسبي والغنائم الى أدنى صدر من أرضهم ،

وأناخ بها فاتصل به الخبر ان النصارى قد جمعوا له وأنهم أعدوا السير في اتباعه فأشار عليه الملاء بالخروج من أرضهم وعبور الوادى الذى كان تخمنا بين أرض المسلمين ودار الحرب ويتحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فلج في ابائته وصمم على التعريس وكان فرما ثبنا الا أنه غير بصير بالحرب لصغر سنه ، فصيحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم بى بيانهم وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه* واستلحموا الكثير من قومه واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم ، واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله أجره ، ثم أنفذ وزراه الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح علمهم واستنفر أهل المغرب كافة ، ثم ارتحل الى سبتة لياشر أحوال الجهاد وتسامعت به أمم النصرانية فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى المغرب ، وبعث الى أصحابه الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه فعدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة في ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة ، وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبى سعيد وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد تكامل عديدهم وعدتهم ، فاستلماوا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها من بعض وقرنوها للمصافى ، فلم يمتض الا كلا ولا خنى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيف وطعنا بالرمح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم المند ، واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى

* وحملت جثته الى شالة وأقبر بها وقد وقف القنصل الفرنساوى شينيى Chénier على رخامة ضريحه انظر تاليفه المسمى أبحاث فى تاريخ المغرب ج ٣ ص ٢٨٧ فقد استقصى ذلك واستدل عليه بالاثار الذى عثر عليه بنفسه

مرسى سبنة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الأسرى بدار الانشاء ، وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أغز أيام الاسلام ، ثم شرع السلطان أبو الحسن فى اجازة اعساكر من المتطوعة والمرتزة ، وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدو الى العدو ، ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأنخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع فى منازلتها ، ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن الاحمر فى عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحامية الثغور ورجالة البدو ، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات ، وجهز الطاغية أسطولا آخر اعرض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففنت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ، ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا الى المسلمين لستة أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمه بها الى وقت الحاجة اليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرسدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فناروا بهم من مرادهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ، ثم زحف الطاغية من الغد فى جموعه الى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفها وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذى دخل ليلا وخالفوا المسلمين الى معسكرهم وعمدوا الى فسطاط السلطان فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلحموهم لقاتلهم ، ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن كذلك وخلصوا الى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبى بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى وغيرهما من حظاياهم فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا

بهن واتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا ثم أحس المسلمون بماوراءهم
 فى معسكرهم فاختلف مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين بن
 السلطان أبى الحسن صمم فى طائفة من قومه وحاشيته حتى خالطهم فى صفوفهم
 فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصاب بأسره ، وكان الخطب على الاسلام قلما
 فجع بمثله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة احدى
 وأربعين وسبعمائة وولى السلطان أبو الحسن متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد
 كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى الى الفسطاط السلطان من المحلة فانكر
 قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ، ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن
 الاحمر بغرناطة وخلص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى
 جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة فى ليلة غده ومحص الله المسلمين
 وأجزل ثوابهم



استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء



لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى
 التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل أولا قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة وعلى
 مرحلة منها ، وجمع الآلات والايدي على حصارها وأخذ بمخنتها فأصابهم
 الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وأدال الله
 الطيب منها بالخيث وانصرف الطاغية الى بلاده ، وكان السلطان أبو الحسن لما
 أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعود الى الجهاد لرجع الكرة فأرسل فى المدائن
 حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل فتكامل له منها عدد
 معتبر ، ثم ارتحل الى سبتة لمشارفة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره
 عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن
 تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم

ايريناني من المرشحين للوزارة نبأه ، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطولوه وأجراه الى بحر الزقاق لمدافعته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فملكه دون المسلمين ، وأقبل الطاغية من اشيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضه المجاز ورجا أن ينظمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطولة ، وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب الى أهل الجزيرة المدد من انفرسان والمال والقوت في أوقات الغفلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ، ولم يغن عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئا واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد ، وأجاز السلطان أبو الحجاج الى السلطان أبي الحسن يفأوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن الطاغية له في الاجازة مكرأ به وأصدر له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الرقيق ، وضافت أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا الطاغية الامان على أن ينزلوا له عن البلد فبذله لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما عوضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم ووصلهم بما تحدث الناس به ، وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضرت عقوبة له على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون



بقية اخبار بنى ابي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان يلى مشيخة الغزاة بالاندلس وانه
استشهد سنة ثلاثين وسبعماية * وقام بأمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بعصيته
وقومه على بنى الاحمر ، فقتلوا محمد بن اسماعيل منهم مرجعه من فتح جبل
الفتح ونصبوا للامر أخاه يوسف بن اسماعيل حسبا تقدم الاماع بذلك ، ثم ان
السلطان أبا الحجاج هذا بقى بين جنبه داء دخل من بنى أبي العلاء الذين
فتكوا بأخيه فلم يزل يسعى فى أمرهم حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ، ثم
غربهم الى تونس فنزلوا على السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى واتصل
الخبر بالسلطان أبي الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ، ثم بدا له فبعث اليه مع
عريف الوزعة باباه ميمون بن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف
الحفصى عن ذلك وأبى من اخفار ذمتهم ، فأشار عليه وزيره أبو محمد بن
تافراجين ببعثهم اليه وانه لا يريد بهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم
فقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين
وسبعماية فلقاهم بالبر والكرامة اكراما لشفيهم وأنزلهم بمعسكره وحملهم
على الخيول المسومة بالمرابك الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع
والجوائز وفرض لهم فى أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملة ، ولما احتل بسبته
لمشارفة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثيرا من المفسدين
يدخلونهم فى الخروج والتوثب على الامر فقبض عليهم وأودعهم السجن
بمكاسة الزيتون ، واستمروا هنالك الى أن قام أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم
على أمره حسبا تذكره ان شاء الله



مراسلة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن راسل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه بما عظم وقعه عند الخاصة والعامة ، واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى واربعين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ، فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفدعليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبي عبد الله ابن أبي مدين وفى صحبته الحرة أخت السلطان أبي الحسن فقضى من وفادته ما حمل ، وأصبحه السلطان أبو الحسن كتابا الى الملك الصالح أبي الفداء وكان وصوله الى مصر منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

ونص الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : « من عند أمير المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد فى جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين موثرالمراپطة والمثاغرة موازر حزب الاسلام حق الموازنة ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العالم ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعداد مجند الجنود المنصور الرايات والبندو محط الرحال مبلغ الآمال أبى سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر فى قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بأنواع الفخار فجلى ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية

فاعلى منها علما وأحبي رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط
الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تأمينه بحياطة النفوس
والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل
الرفع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم
الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبى الوليد اسماعيل ابن
محل أخينا الشهير علاؤه المستطير فى الاتفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال
عين انسان المجدوانسان عين الكمال وارث الدول النافذ بصحيح رأيه فى
عقود أهل الملل والنحل حامى القبلتين بعدله وحسامه التامى فى حفظ
الحرمين أجر اضلاله بذلك وقيامه هازم أحزاب المعاندين وجيوشها هادم
الكنائس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل
الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفع الخطير المجاهد
المرباط المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم القدس المطهر
زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبى المعالى محمد بن الملك الارضى الهمام
الامضى والد السلاطين الاخبار عافد لواء النصر فى قهر الارمن والفرننج
والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فى البلاد جمال الايام
نمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور
المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين
قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلعها له السعد شمساً
فى سماءه وأحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آباءه سلام كريم يفاجح
زهر الربى مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم ما دامت
تقل الفلك حر كاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمه الله وبركاته أما بعد حمد
الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعاً للشك وخادل من أسر
التفاق فى التجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسوله الذى محى بأنوار الهدى ظلم الشرك ونبيه الذى ختم به الانبياء وهو
واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الافلاك
وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلکوا سبيل هداة

فسلك فى قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محبة الصواب
أصبح السلك وصابروا فى جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب
يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر
لنضائه فى العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك
الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا
مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب اللطاف ويكيف
مواهب تلهج اللسنة فى القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره
العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين التون والكاف ومكانكم العتيد
سلطانته وسلطانكم المجيد مكانه وللاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح
فى مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكيننا وأفاد مقامكم
تحسينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مينا فلا خفاء بما
كانت عقدته أيدى التقوى ومهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى بيننا وبين
والدكم نعم الله روحه وقده وبقربه مع الابرار فى علين أنسه من مؤاخاة
أحكمت منها العهد تالية الكتب والقاتحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتها
المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت
بتعارف الارواح عند تنازع الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت
كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولاعجب قصر زمن
الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أوورد رنق المشارب وحقق قول « ومن
يسأل الركبان عن كل غائب » أنبا باستشارة الله تعالى بنفسه الزكية واكان درته
السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفقده فى
الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور خانا للإسلام بتلك
الافطار واشفاقا من أن يعقور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتى عارض
الاضرار ومساهمة فى مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم عييت
الاخبار وطويت طى السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن
استقر له ذلك الملك حقا وفى أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ
أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب

أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبر الوارد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لائى وقعنا منها على الخير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدتها من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعين أنار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا الموارد فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفنتة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من الغزاء والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين أوانه ولكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفتموه فما مات ذكره ومن قتمتم بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيئا بما من الاجرا كسب وصار حميدا الى خير منقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنئة وفى ذات الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاهما أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة وموالة محققة وثناء كمائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يعب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطبنا منا اليمين وآوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما تناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من البر الذى لا يضيع حتى طبق فعله الاتاق ذكرا وطوق أعناق الوارد والقصاد برا وكان

من أجمل ما به تحفى وأتحف واعظم ما يعرفه الى الملك العلام فى ذلك تعرف
اذنه للمتوجهين اذ ذاك فى شراء رباغ توقف على المصحفين ورسم المراسم
المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما
بذلك الخراج المستفاد ريشا يصلهم من خراج ما وقفه عليهم بهذه البلاد على
ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها
به متوفرة متحصلة وقد أمرنا مؤدى هذا لكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا
الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل
الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبى عبد الله بن أبى
مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال
تلك الاوقاف وينصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن
يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخطابنا سلطانكم فى
هذا الشأن جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى
فى ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل
وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل
والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني فى اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على
ما يتوخاه فى ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذى يفاوح
زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالة
نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب
على ذلكم الجنب وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منالجهاد
عزما مثل ندائه يصيح أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أخزابهم من كل صوب
وفرض عليهم بابهم اللعين التاصر من كل أوب وإن تقصد طوائفهم البلاد
الاندلسية بايجافها وتقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحو كلمة الاسلام
منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدما من يشتغل بالاساطيل من القواد
وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا
وقد أخذ أخذ العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور
وأوتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز

الى دفع العدا وتخلصوا عن الانسباط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء
أعاده الله بكل من جمعه من الاعاد لكننا مع انسداد تلك السبل وعدم أمور
نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد
وأصرخناهم بما أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة
تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال
بما يجهز به حركته لمداثة محلة حزب الضلال واجرينا له وليجيشه العطاء
الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم من النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت
أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن
الآجل مشحونة بالعدد المفورة والابطال المشهورة والخييل المسومة
والاقوات المقيمة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز
وجل وما زالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون
قطعة غزوية أجراها عند الله بدخر ثم لم تقع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا
أحد أولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر
وارتجاجه والحاح العدو ولجأه ما به الامثال تضرب وبمثلثه يتحدث
ويستغرب ولما خلص لتلك العدو بمن أبقت الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد
حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو وبماسبه
بحرب بها يبنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت
فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يالون بالعدو وهم منه كالشامة
اليضاء فى البعر الاورق الا أن المطاولة يحصارها فى البحر مدة ثلاثة أعوام
ونصف ومازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى
فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من
الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس
يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين
من وجوه التنجح فأذن له فيه الاذن العام اذفى اصراخه واصراخ من بقطره
من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد
كانوا علموا فناء القوات وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج مسن

بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولا رزئوا مالا ولا عدة ولا لقوا في
خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصدوا
فأجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالجباء فمن خيل تزيد على الالـ
عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت النفس والتفتت
ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها
وما انقلبوا بغير بادرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله جـ
قضى بأخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو الله
على هذه المدة والفرصة منه ان شاء الله تعالى منيسرة حتى يفرق عقد الكـ
ويفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الأقطار فلولا اجلايهم من كل جـ
وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا بأصفاة
ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت به
الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرات له ولسائر تلك البلاد
والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعناء السفر ونورة
الجياد وننتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ونكون على أهبة الجهاد وعـ
مرقة الفرصة عند تمكنها في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نيسر الرـ
الحجازي موجهها الى هناكم رواجه فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الـ
الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أخنى الآباء واعتقادنا فيكم فـ
ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ومالككم من غرض بهذه الانحاء موفـ
قصده على أكمل الاهواء موالى تسميه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد الـ
متحدة والقلوب والأيدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة جعل الـ
ذلكم خالصا لرب العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة ير
المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب
وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولا
الناكب والسلام الائم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في
يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين
وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ

قال ابن خلدون : « قضى أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين مسن وفادته ما حمل وكان شأنه عجبا في اظهار أبهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم رحمه الله » وقال العلامة المقرئى : « وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخلباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك » اهـ ولعل هذا الكتاب آخر غير الذى سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم

ونسخة الجواب عن الكتاب الذى سردناه من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم : بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث : « عبد الله ووليه » صورة العلامة ، ولده اسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرباط المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار، اسكندر الزمان مملك اصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلطين جامع كلمة الموحدين ، ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة انصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرباط المناثر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد السننى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وست البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء

اتخذ التفحات المسكية طلائعه ونبه بالتفريد فى الروض سواجعه وجلى
فى كأسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه
«أما بعد» حمد الله على نعم ادت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثة
وأجلستنا على سرير مملكة زرايها بين النجوم مبثوثة ، واحسنت بنا الخلف
عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوتة ، وصلاته على سيدنا محمد
عده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ يجهادهم فى الكفرة غاية أملهم وسؤله
صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيلوها ما تراسل أصحاب
وتواصل أحباب فيوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق
على الدر التظيم تفاخر الحمائل سطوره ، ويصبغ خد الورد بالبخجل منشوره
ويحكي الرياض اليانة فالالقات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع
على الاقاق حلل الايام واللبالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب
ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب
فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبها الفاته
بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره
المتظمة بالفرسان المزدحمة يوم الكفاح وانتبهنا الى ما أود غتموه من اللفظ
المسجوع والمعنى الذى يطرب طائره المسموع والبلاغة التى فضح التطبع بيانها
المطبوع فاما الغزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده واحسن
لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه فى عدة الشهداء
ما رام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيد ايملك الارض ومات شهيدا
يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الاقاق
ويوقف عند نظارة حداثته الاحداق وورثانته حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة
تشبه فى اللطف شمائلكم - واما الهناء بوراثه ملكه والانخراط مع الملوك فى
سلكه فقد شكرنا لكم منحة هذه المنحة وقابلناها ببناء يعطر النسيم فى كل نفحة
ووفقنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه
وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يمد طود رسوخه
ولا يميل

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الكريمين الشريفين اللذين
وقتموهما على الحرمين النيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الانسى
الاسمى ابا المجد ابن كاتبكم ابنى عبد الله بن ابنى مدين اعزه الله لتفقد
احوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه فى حرس
السلامة واكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان
اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا وقرناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا
فى أمر المصحفين الشريفين بما اشرتم ورسنا لنوابنا فى توخى اوقافهما بما
ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على احسن عادة ألفها واثبت قاعدة عرفها
مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن ازالة رسمه أو اذالة حكمه
بدره ابدا فى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كمه لا يزداد الا تخليدا ولا
اطلاق ثبوته الاتقيدا ولا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنا وعادة
تصرفاتنا فى مسالكنا وله مزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية. وأما ما وصفتموه
من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه نق
علينا سماعه الذى انكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانامل
الحفنان وطالما فزتم بالظفر ورزقم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر
ولكن الحرب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو امكنت
المساعدة اطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم اباطحهم بقسيتها
المعوجة وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمراد الرماح وجعلنا ليل العجاج
مميزا ببروق الصفاح واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق
الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك
الاسنة ولفقنا الصخرات بالصراخات واسلنا العبرات بالربعات ولكن اين الغاية
من هذا المدى المتطاوول واين الثريا من يد المتناول وما لنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى
نرفه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجاياسا
- وأما - ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف الاتلاف وام حرم فائتها الفناء
وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على
اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار لا يخلو صفوها من كدر القدر وطالما

أُنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلى
عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامرهين لان الدر يفدى
بالذهب - وأما - ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وامر ما فيه فارطعزم
وان كان فيتدارك والامر يجىء كما يجب لا كما نحب والحروب يزورها
نصرها تارة ويغيب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد النظر بالعدا
وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا
لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى
التدبير سرورى التمييز لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة
صهوات الجياد وتسام من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب
وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جل طارق الذى
فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما
شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى كدر ورد
الصبر لما ورد فعادة اللطاف بكم معروفة وعزما تكم الى جهات الجهاد
مصروفة وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق
وجبل يعصم من سهم يمر من قسى الكفار ويمرق وأما ما منحتموه من الخيل
العناق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال
اتى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم
فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أئنيتهما وتحفكم
تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأثار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج
كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا
أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤوس الاعثناء بهم ينضد جبهها واذا كان
أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرقيق وبلغناهم
بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجراته الشريفة
حازوا الراحة من العناء وفازوا بالنفسى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل
ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لاسافة لمسافر بين الشرق
والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها

لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لآخذ الثار حماكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الأنضر وتجنون به ثمر النصر البائع من ورق الحديد الأخضر وتحفكم بسعد لايلى قشيبه وعز لايمحو شبابه مشيبه وتحية المباركة تغادىكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها المعطرة وتافحكم بمنه وكرمه ، فى سادس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة »

قال ابن خلدون : « ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افريقية كما نذكره فى كتب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها » اه وهو يقتضى أن السلطان المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين أنفا مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبى العباس المقرئ أنه وقف على النسخة الموقوفة بيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .



هدية السلطان أبى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب



أعلم أن أرض السودان المجاورة للمغرب تشتمل على ممالك منها مملكة غانة ومنها مملكة مالى ومنها مملكة كاغو ومنها مملكة برنو وغير ذلك ، وكان ملك مالى وهو السلطان منسا موسى بن أبى بكر من أعظم ملوك السودان فى عصره ، ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره فى الآفاق فسا هذا السلطان وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبى الحسن وكان مجاورا لمملكة المغرب على نحو مائة مرحلة فى القفر ، فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من المثلثين المجاورين لبلادهم من صنهاجة ، فوفدوا على السلطان أبى الحسن فى سبيل التهئة بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن موائهم ومنقلبهم ونزع الى مذهبه فى الفخر فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونه وشيا من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب

الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصى فأوفدهم بها على ملك مالى منسا سليمان لمهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى أعراب الفلاة من بنى معقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين فشمرو لذلك على بن غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم فى طريقهم امتالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركب فى القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم ، وعادوا الى مرسلهم فى وفد من كبار مالى يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبى الحسن واعتماله فى مرضاته ما استوصاهم به

واعلم أن منسا موسى الذى ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو الذى صحبه أبو اسحاق الساحلى المعروف بالطويجى (*) من شعراء الاندلس ، كان قد لقيه فى الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى بلاده وأقام عنده مصحوبا بالبر والكرامة وبنى للسلطان المذكور قبة رائعة فازدادت حظوته عنده ، قال ابن خلدون : « أطرف أبو اسحق الطويجين السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صنائع اليدى وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة ، فجاءت من أتقن البانى ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله بانثى عشر ألفا من مثاقيل النبر مثوبة عليها » اه وكانت وفاة أبى اسحق ببنبتكوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة



(*) صوابه الطويجين تصغير طاجين الاناء المغربى المعروف

مصاهرة السلطان أبي الحسن ثاني مع السلطان أبي بكر الحفصى رحمهما الله



قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبى الحسن من جملتهن فاطمة بنت السلطان أبى بكر الحفصى فلما فقدوها أبو الحسن بقى فى نفسه منها حنين الى ما شغفته به من خلالها ولذاذة العيش فى عشرتها فسما أمله من الاعياض عنها بعض أخواتها ، فأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير عرب.سويد من بنى زغبة الهلالين وكاتب الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وقيقه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى ، فوفدوا على السلطان أبى بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فأنزلهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافراجين غرض وفادتهم وانهم قدموا خاطبين بعض كرائمه لسلطانهم فأبى من ذلك صونا لحرمة عن جولة الاقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع فى ابنته الاولى ، فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانعقد الصهر بين السلطتين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبى العباس الفضل بن أبى بكر صاحب بونة ، وأخذ الحاجب فى شوار العرس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال مقام الرسل بتونس الى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها فى ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبى الحسن قيما بحقه وبعث من بابة جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبى الحسن واتصل بهم الخبر فى طريقهم بوفاة السلطان أبى بكر فجأة ليلة الاربعاء ثانى رجب من السنة المذكورة ، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى اكرامهم وأجل موعده

أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار عند
السلطان أبي الحسن الى أن سار في جملته وتحت لوائه الى افريقية كما
نذكره ان شاء الله



غزو السلطان ابي الحسن افريقية واستيلاؤه على تونس واعمالها



كان السلطان أبو بكر الحفصى رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي
العباس أحمد ، وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجه أبا القاسم بن
عتوا في غرض له . وأصجه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه
فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه
الله وأحكم العقد في ذلك ، ولما مات السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائبا
عن الجيزة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر .

ذكر الشيخ أبو العباس الوائسرى في أقضية «المعيار» عن الشيخ ابن
عزقة أن سلطان افريقية أبا بكر الحفصى كتب العهد لولده أحمد فلما توفى
السلطان المذكور أحضر أبو محمد بن تافراجين قاضى تونس قاضى الجماعة
أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضى الانكحة أبا عبد الله الأجمى
وأمرهما أن يبايعا ولد الخليفة عمر فقالا : « كيف نبايعه ونحن شهدنا بيعته
أخيه أحمد والتزمناها » وكان الحاجب ابن تافراجين نبلا فلما رأى امتناعهما
قال : « ادخلا دار السلطان واشتغلا بنفسه وتكفيه » فلما دخلا أحضر الحاجب
المذكور أهل القدر والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه ، فلما خرج
القاضيان وجدا البيعة قد حصلت وكان فى انتظار أحمد المشهود له بالعهد
وهو غائب بقصة خوف الفتنة فبايع القاضيان ، وكان ابن عرفة يستصوب
فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا وبيعتهما ثانيا ، ثم قدم ولي العهد ووقع
بينه وبين أخيه قتال وجرت خطوب كان فى آخرها قتل ولي العهد وقتل وليه

أبى الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم فى ءاخرين منهم وقطع عمر
 أيضا أخويه عبد العزيز وخالدا من خلاف فهلكا « وكان الحاجب أبو محمد
 ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه
 فسلل الى قصره وأخذ ما خف من ذخيره ولحق بالسلطان أبى الحسن
 وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها
 وكان السلطان أبو الحسن يمنى ذلك لولا مكان صهره أبى بكر فأقام يتحين
 لها الاوقات ويترب لها الفرص حتى كانت هذه ، (وانما تنجع المقالة فى امره
 اذا صادفت هوى فى الفؤاد) فأظهر أبو الحسن الامتعاض لما فعله عمر
 بأخيه ولى العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقه دمه ثانيا لاسيما وقد كان
 أعطى خط يده بالمواقفة على العهد المذكور ، فأجمع الحركة الى افريقية ولحق
 به خالد بن حمزة بن عمر أخو أبى الهول المقتول مع ولى العهد فاستداه على
 عدوه ، ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى
 افريقية وأزاح عللهم وعسكر بظاهر تلمسان ثم نهض فى صفر من سنة ثمان
 وأربعين وسبعمائة يجز الدنيا بما حملت ، بعد أن عقد لابنه الامير أبى عنان
 على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جبايته
 وقدمت عليه فى طريقه أعراب افريقية وولاية قابس وبلاد الجريد وأطاعته
 طرابلس والزاب وبجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء
 ابن ابى بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه ابناء الامير أبى عبد الله بن
 أبى بكر فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم
 جبايتها ، وأنزل بقسنطينة خلفاء وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب
 بجاية الى ندرومة فأنزله بها وأقطعه الكفاية من جبايتها ، ثم وفد عليه بنو
 حمزة بن عمر أمراء الكعوب من سليم فأخبروه بأجفال عمر المتغلب بتونس
 مع طاعة أولاد مهلهل واستحثوه فى اعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر ، ففرح
 معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو بن يحيى العسكرى
 وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطج الجعاب
 منها ، ثم ارتحل على أثرهم وأغذ حمو بن يحيى السير مع ناجة أولاد أبى

الليل فليحقوا بعمر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم انهزموا وكبا بعمر جواده فى ناققاء بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهما وأوثقهما قائد العسكر يده حتى اذا جن الليل ذبحهما خوفا من أن تقتكهما العرب من يده وبعث برأسيهما الى السلطان أبى الحسن فوصلا اليه باجية وخلص الفسل من تلك الوقعة الى قابس ، فتقبض عبد الملك بن مكى صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر ابن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة ، فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبى الحسن مقرنين فى الاصفاة فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لفتيا الفقهاء بجرابتهم واعتقل الباقى

وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصره على ابنته يحيى ابن سليمان من بنى عسكر فاحتلوا بتونس ، ثم جاء السلطان على أثرهم فنزل بظاهرها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فأتوه طاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته مغتبطين بملكته ، وكانت تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرافع وابن راشد القفصى وابن هرون وأعلام آخرون ، ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكبه لدخول الحضرة فصف جنوده سباطين من معسكره يسيجوم الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مرين من مراكزهم من جموعهم وتحت راياتهم ، وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى كبير سويد وليه أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء وهو أخو السلطان أبى بكر وليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة فأطلقهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طراز ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بنى مرين وكبرائهم ، وهدرت طبوله وخفقت راياته

وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفافا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش ، قال ابن خلدون : وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ، قلت : كان سن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وكان قدم في جملة السلطان أبى الحسن جماعة كبيرة من أعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه ثم دخل القصر الخلافي وخلع على أبى محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا الى منازلهم ثم دخل السلطان أبو الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطاية فطاف على تلك البساتين وسرح نظره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصة تونس في عسكر لحمايتها ثم ارتحل من الغد الى القيروان فجال قى نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطول المائلة لضعافة والعبيدين والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء في ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهديّة ووقف على ساحل البحر منها وتطوف في معالمها ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المستير وانكأ راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة ونزل المسالحي على ثغور افريقية وأقطع بنى مرين البلاد والضواحي وأمضى أقطاعات العرب التي كانت لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخفقت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدي أهل الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا أنه عقد على بونة لصره الفضل ابن السلطان أبى بكر اكراما لصره ووفادته عليه واتصلت ممالك السلطان أبى الحسن ما بين مسراته الى السوس الأقصى من هذه العدوّة الى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفاسح دولته ونفوذ كلمته والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد فى سبيل التهنتة بالفتح
وكان سابق الحبله يومئذ أبو القاسم الرحوى فى قصيدة يقول فى مطلعها
أجالك شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويشرب
وهى طويلة تخطيناها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بمنه



انتقاض عرب سليم بافريقية على السلطان ابى الحسن ومانشأ عن ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب أن جمهورهم
كان من بنى جشم بن معاوية بن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى
سليم بن منصور ، وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم وبعض هلال
وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم
بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وكان السلطان أبو الحسن المرىنى حاله
مع عرب المغرب الاقصى غير حال الحفصيين مع عرب افريقية وملكته لاهل
باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم ، فلما ورد افريقية واستولى عليها رأى من
اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما
تجاوز الحد المعتاد عنده ، فأنكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه
باعطيات فرضها لهم فى الديوان من جملة الجند واستكثر جبايتهم فقصفهم
الكثير منها ، ثم شكا اليه الرعية من أولئك العرب وما ينالونهم به من
الظلامات وضرب الاناوة التى يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله
وتقدم الى الرعايا بمنعهم منها ، فارتابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم وثقلت
وطأة الدولة المرىنية عليهم فتربصوا بها وتحزبوا لها وتعالت ذئابهم فى بواديهم
فاجتمعوا وأغاروا على قياطين بنى مرين ومسالحهم فى ثغور افريقية حتى انهم أغاروا
على ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذى كان فى مرعاها والسلطان يومئذ بها
فعظم عليه ذلك وحقد على كبرائهم وأظلم الجو بينه وبينهم ، ثم وفد عليه أيام

الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبى زيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان أبو الحسن وأجمل لقاءهم مغضيا عما صدر من غوغائهم ، ثم رفع اليه عبد الواحد بن اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه للامر بافريقية وانه خشي على نفسه بادرة السلطان فثبرا اليه من ذلك ، فقامت قيادة السلطان أبى الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصى معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا فوبخهم وأمر بهم فسحبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزوهم وعسكر بسيجوم من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك الفطر من سنة ثمان وأربعين وسبعماية

واتصل الخبر بأولاد أبى الليل وأولاد القوس باعتيال وفدهم وجمع السلطان لغزوهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وانطلقوا فى أحيائهم يحزبون الاحزاب ويستثرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهلهل فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبى بكر قد لحقوا بالقفر خوفا من أبى الحسن لانهم كانوا شعبة لعمر المذكور ، فلما وقع بين أبى الحسن وبين أولاد أبى الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فتطارحوا عليهم ورغبوا اليهم فى الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومناذته ، فكان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم وتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم بتوزر من بلاد الجريد فتنامروا وتضافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا نفسا واحدة على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم ، والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سمانرة الفتن على رجل من بنى عبد المومن وهو أحمد ابن عثمان بن أبى ذبوس آخر ملوك بنى عبد المومن وكان يحترف بالخياطة فى توزر بعد ما طوحت به الطوايخ فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وجمعوا له شيا من الفساطيط والخيل والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بقياطينهم وحللهم وتحالفوا على نصره

ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة المذكورة ارتحل من ساحة تونس يريد العرب فوافاهم بالموضع المعروف بالثينة بين بسيط تونس وبسيط القيروان فأجفلوا أمامه فأتبعهم وألح عليهم الى أن وصلوا الى القيروان فلما رأوا أن لا ملجأ لهم منه عزموا على الثبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبى الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بنى عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبنى توجين وغيرهم ، فدسوا الى العرب أثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويجروا عليه الهزيمة فأجابوهم الى ذلك وصبحوا معسكر السلطان من الغد فركب اليهم فى العتية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير ممن كان معه واحتل مصافه فانهمز هزيمة شناعا وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفل مستجيرا بها ودافع عنه أهلها ، وتسابقت العرب الى معسكره فاتهبوه بما فيه من المضارب والعدد والآلات ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه ، وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حلقهم فدارت بها سياجا واحدا وتماوت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت افريقية نارا ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى تونس وكان السلطان قد خلف بها عند رحيله الكثير من أبنائه وحرمه ووجوه قومه وأمناء بيت ماله وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبة وأحاط بهم القوغاء كى يستنزلوهم عنها فامتنعوا عليهم وكانوا بها أملك منهم ، وكان الامير أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبى الحسن قد جاء من المغرب فى هذا التاريخ فوافاه الخبر قسرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم فى القصبة ، ثم نزع أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبى الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد شتم صحبته ومل خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصى مستبدا عليه مفوضا اليه فى جميع أموره ، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه ، وكان ابن تافراجين يظن أنه سيكل اليه أمر

إفريقية وينصب معه للملكها الفضل ابن السلطان أبى بكر شقيق زوجته وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان فى قلبه من الدولة المرينية مرضى وكان العرب أيام عزمهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان وحصاره القيروان احتالوا فى أمر ابن تافراجين ، فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعثه اليهم ليفاوضوه فى الرجوع الى الطاعة والانخراط فى سلك الجماعة ، فاذن له فخرج اليهم ووصل يده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبى الحسن ، فقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبى دبوس ثم سرحوه الى حصار من بالقصبة من بنى مرين وطمعوا فى الاستيلاء عليها وفرض ختامها فساد ابن تافراجين اليها وانضم اليه أشياخ الموحدين فى زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصبة ، ثم لحق به ابن أبى دبوس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتنت عليهم ولم يغنوا شيئا ، وابن تافراجين فى أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى أن بلغه خلوص السلطان أبى الحسن من القيروان الى سوسة

وكان من خبره أن العرب بعد حصارهم اياه بالقيروان اختلفت كلمتهم لديه وكان قد دخل أولاد مهلهل فى الافراج عنه واشترط لهم على ذلك أموالا ونذر بنو أبى الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن حمزة منهم بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فقبله وأطلق أخويه خالدا وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهلهل وخليفة بن أبى زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدوه على الافراج عنه والقيام معه حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليلا على النعبة وذؤبان العرب تفلأ أذياله وضباعها تنوشه الى أن استقر بسوسة وأمن على نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولما سمع ابن تافراجين وهو محاصر للقصبة بوصول السلطان الى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر الى الاسكندرية فأصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن أبى دبوس لما علم بخبره فانفض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخرج بنو مرين فملكوا البلد وخربوا منازل الحاشية بها ، ثم ركب السلطان أبو (الاستعما . ثالث . ١١٠)

الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره ، وكتب الى صاحب مصر في التقبض على ابن تافراجين فأجاره بعض الامراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن في اصلاح أسوار تونس وادارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة رسماً دفع به في نحر عدوه وبقي له ذكره من بعده
ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبي دبوس على تونس ونازلوا أبا الحسن بها واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ، ثم راجع بنو حمزة بصائرهم وصاروا الى مهادته فعقد لهم السلم ودخل عليه عمر بن حمزة وافدا فحبسه حتى قبض اخوانه على أميرهم ابن أبي دبوس وقادوه اليه استبلاغاً في الطاعة وامحاضاً للولاية، فتقبل فثبهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة فزوج ابنة عمر بانه أبي الفضل ، واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبي الحسن ففى الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة اقامته بتونس الى أن كان ما نذكره والله غالب على أمره



انتقاض الاطراف وثوراة ابي عنان بن السلطان ابي الحسن واستبلاؤا على المغرب



قد تقدم لنا أن السلطان أبا بكر الحفصي رحمه الله لما زوج ابنته من السلطان أبي الحسن بعث معها في زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبي بكر وأن خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ، ولما وصل الى السلطان أبي الحسن عزاء عن مصاب أبيه ووعد بالمظاهرة على ملكه فبقى عنده بتلمسان الى أن نهض في صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على بونة التي كان يلي عملها أيام أبيه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سئمو ملكة
بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التى كانت لهم مع الملوك
الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رسخت فى نفوسهم جيلا بعد جيل
فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى وحينه أبدا لاول منزل
فأشرأبوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بنكبة القيروان واتفق أن
قدم قسنطينة ركب من أهل المغرب قاصدين الى السلطان أبى الحسن وكان
فيهم عمال الجبابة قدموا بجبايتهم عند راس الحول كما جرت به عادتهم فى
ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج
بعنهم طاغيتهم بقصد التهئة بفتح افريقية ومعهم تاشفين بن السلطان الذى
أسر يوم طريف أطلقه الطاغية بعد أن أصابه خبال فى عقله وأرسل معه
بهدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالى بعنهم السلطان منسا سليمان بقصد
التهئة أيضا فتوافت هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عباب الفتنة على افريقية
فأراد غوغاؤها انتهاب ما معهم ثم تخلصوا منهم فى خبر طويل

وفى أثناء ذلك ثار الفضل بن السلطان أبى بكر صاحب بونة فراسله أهل
قسنطينة فى القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل بأهل
بجاية ما فعله أهل قسنطينة فتبعوهم على رأيهم من الانتقاض ووثبوا على من
كان عندهم من حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراة واستدعوا
الفضل بن أبى بكر من قسنطينة فبادر اليهم واستولى على بجاية واستتب أمره
بها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يحدث نفسه بغزو تونس ثار عليه أبناء
أخيه أبى عبد الله بن أبى بكر فانتزعوا منه بجاية وردوه الى عمله الاول وانتقض
على السلطان أبى الحسن أيضا سائر زناته من بنى عبد الواد ومغراوة وبنسى
توجين وبايح بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن بغمراسن
ابن زيان وساروا الى تلمسان فاستجدوا بها ملك سلفهم فى أخبار طويلة
وجرت هذه الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب

بالقتال وتراوجه وتعوج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت
أبناؤه على أهل المغرب وحدث في الخلق الوباء العظيم الذي عم المشرق
والمغرب فأرجف بموته واضطربت الأحوال بالمغرب الثلاثة الأدنى والوسط
والأقصى واتصل ذلك بالأمير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه
عليها عند ذهابه إلى إفريقية حسبما مر ، فلما أرحف بمهلك أبيه وتساقط إليه
القل من عسكره عراة زرافات ووحدانا تطاول إلى الاستئثار بملك أبيه دون سائر
أخوته وكان مرشحا عنده لذلك لمزيد فضله عليهم في غير وصف ، واتفق
أن كان عنده رجل من بني عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن
جرار وكان ينسب إلى علم الحدثن ، ولما سافر السلطان إلى إفريقية كان هذا
الرجل أول المرجفين به وأنه لا يرجع من سفرته وأن الأمر صائر إلى أبي
عنان ونجع ذلك في أبي عنان لموافقته هواه ، فاشتمل على ابن جرار وخلطه
بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم
يسرب أبو عنان في صدق ابن جرار وأنه على بصيرة من أمره فتحفز للوثبة
وصمم على الثورة ، ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه
منصور بن أبي مالك عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وأنه ثار بها
وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتيازا
للأمر لنفسه دون غيره وورى في ذلك بأنه إنما عزم على الذهاب إلى إفريقية
لاستقاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتقاء وتفطن
لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس وصاحب الشرطة
بالضواحي ، فاستأذنه في اللحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق بأبي عنان
على حين أمضى عزمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة
من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من
قصره في ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملاء وقرأ كتاب بيعتهم
على الأشهاد ، ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورسست
قواعد ملكه وركب في التعبئة والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس
واتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن القادم عليه ، ثم

لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له ورفع مكان ابن جرار عليهم
كلهم واختص لمناجاة كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ، ثم
فتح الديوان وجعل يستركب كل من تساقط اليه من قبل أبيه ويخلع عليهم
وارتحل الى المغرب وعقد على تلمسان لابن جرار وأنزله بالقصر القديم منها
فاستمر بها واستبذ الى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان
ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ، ولما انتهى الامير أبو عنان الى
وادي الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان وانه عازم على الفتك به
بتازا تقربا الى السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته ، وانه قد داخل في ذلك
حافده منصور بن أبي مالك الثائر بفاس وأطلعه هذا الواشي على كتاب
الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا في مساء ذلك اليوم وأعد
السير الى المغرب

وانتهى الخبر الى منصور صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بواي أبي الاجراف من ناحية تازا فاقتتل مصاف منصور وانهزمت جموعه
ولحق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأناخ عليه خارجها وقد
تسائل الناس على طبقاتهم اليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجنود
من البذل والاستيلاف طريقا لم يسبق اليه ، وكانت منازلته لفاس الجديد في
ربيع الآخر من السنة المذكورة فآخذ بمخنفها وأجمع الايدي والفعلة على
الالات لحصارها ، ثم أرسل الى مكناسة باطلاق أولاد أبي العلاء المعتقلين
بالقصة منها فأطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاس الجديد وضيقوا عليها الى
أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع الى أبي عنان أهل الشوكة
منهم ، ثم أن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بأن أظهر
الزروع عن أبي عنان الى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به
فيمن معه من حاشيته واقتحمه الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه
فأعقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على ذلك الملك ، وتساقبت اليه وفود
الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم
رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء

فقبضوا عليه وقادوه الى أبى عنان مباعين له مقربين به اليه وتولى كسر ذلك فيهم زعيمهم الشريف أبا العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلى من آل الحسين السبط رضى الله عنه كان سلفه قد اتقلوا من صقيلة الى سبتة فاستوطنوها ، ثم استوطنوا بعدها حضرة فاس واستوسق للامير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين الا من أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على بنى كعب الناكين لعهده الناكين عن طاعته فأقام السلطان أبو الحسن رحمه الله بتونس يرجو الايام ويأمل الكرة والاطراف تنتفض والخوارج تتجدد وقط من كان معه من حاشيته وسثموا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسنوا له النهوض الى المغرب فأسمعهم وعزم على الرحلة كما نذكره ان شاء الله ، وفى هذه المدة كتب اليه السلطان ابو الحجاج يوسف بن الاحمر كتابا من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له ونص الكتاب : « المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتساق ، وجياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق ، وإياديه الجمة فى الاعناق الزم من الاطواق ، وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق ، مقام محل ايثار الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشأنه ، وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط بابيه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجيبة لفراقه مسرورة باقترابه ، معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل المشهورة المعلومة ، والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلام كريم ، طيب عميم ، كما سطعت فى غياهب الشدة انوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عطرة الارج ، يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله

وبركاته ، أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد ابتكارها ، ومقبل الايام من عثارها
ومزين سماء الملك بشموسها المحتجة وأقمارها ، ومريح القلوب من رحسة
افكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها
واضطرابها ، ومتداركها بالطف الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير أوطارها
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ،
وناب مجدها السامى ونجارها ، نبى الملاحم وخائض تيارها ، ومذهب رسوم الفتن
ومطفئ نارها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة
الله ما شاعت من سطوع انوارها ، ووضوح اثارها والرضا عن آله واصحابه
الذين تمسكوا بعده على احلاء الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء
دعوته الحنيفة واطهارها والدعاء لتمامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها
وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها حتى تقف الايام ببابكم موقف
اعتذارها وتعرض على مثابكم ذنوبها رغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم
كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحي الملوك من مواهب السعادة وعرفكم
عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين
من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى
الشدائد الاعتماد . الى كف فضله الاستناد ثم بركة جاء نبينا الذى وضع بهدائه
سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر
سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها لئله
الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعدنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله
تعالى فى اظهاره واتمامه ما لاتفى العبارة بأحكامه ولا تقاطى حصر أحكامه
والى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاؤه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر
والغائب وخلص الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ما عدنا من الحب الذى
وضحت منه المذاهب وانه لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى
صعبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية

والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تأتي بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا في استشفاف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بأن العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالت في البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعافت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلقى لاعانتكم مذهباً لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض والعدو بساحتنا في هذه الايام رضى وكان خديمكم الذي رفع من الوفاء راية خافقة واقتى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص الاصفى على أبو محمد ابن آجانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سؤاله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجانبا ليتيسر له من جهتنا القدوم ، ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فينبينا نحن ننظر في تميم غرضه واعاته على الوفاء الذي قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التى استنتم بها على الحركة والعزمة المقترنة بالبركة حظت احدهما بمرسى المكسب والاخرى بمرسى المربة فى كنف العناية الالهية فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاطوان التى يؤمن قدمكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويذهب أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالغزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرعة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديون آمالها والمطاوله من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعر دنو

حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر
 ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخدمتكم المذكور
 من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحافه
 بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى بحوله أسبابها ويفتح بينتكم
 الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع
 الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما
 يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقى الى مقامكم الرفيع
 العباد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم فى
 بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة والايادى
 الحديثة والقديمة وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل
 الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لو لم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة
 والاعداء الذين غصت بهم فى الوقت هذه الجزيرة ما قدمنا عملا على اللحاق
 بكم والاتصال بسببكم حتى نوفى لآبوتكم الكريمة حقها ونوضح من
 المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى
 نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا
 ولا يعدمكم غاية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنباتكم السارة
 وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال ضارعتنا وابتهاشنا
 هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم
 الاخيار بسعادة ملككم السامى المقدار ويسر ما له من الاوطار ويصل
 سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » اهـ



ركوب السلطان أبى الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن فى ذلك



كان الامير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبى بكر الحفصى بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبى الليل وأغرود بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة السلطان أبى الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ، ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبى الليل الى أن بايعه أهل بلاد الجريد بأشارة أبى القاسم بن عتو المقتوع ، ودخل فى طاعته توزر وقفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة وانتهى الخبر الى السلطان أبى الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال أمره بها وانه ناهض الى تونس فاهمه شأنه وخشى على الامر ، وكانت بطاتة توسوس اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ، ولما قضى نسلك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر فى فصل الشتاء وهيجان البحر وكلب البرد بعد أن عقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتقاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم به ، وكانت مدة محاصرة السلطان أبى الحسن بتونس سنة ونصفا ، واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبى بكر وهو ببلاد الجريد فأغد السير الى تونس ونزل بها على أبى الفضل المربى ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزوا أبا الفضل على الامان فخرج الى دار أصهاره من بنى حمزة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله الى أبيه فلحق به بغير الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فانهم لما لججوا احتاجوا الى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس ليال من اقلاعهم عن تونس

فمنعهم صاحب بجاية الحفصى من النورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
 فزحفوا الى الساحل وقاتلوا من صدمهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
 ثم عصفت بهم الرياح فى تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت
 الاجفان وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
 فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عارى الجسد مباشرا للموت ،
 وفد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة وهو
 يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التى تعلقوا بها فمكثوا
 ليلتهم على ذلك وصبحهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف
 فإدرا أهل الجفن اليه حين رأوه فاحتلموه وقد تصايح به البربر من الجبال
 وتواثبوا اليه حين وضع النهار وأبصروه ، فتداركه الله بهذا الجفن فاحتلموه
 وقذفوا به فى مدينة الجزائر

وفى نفح الطيب أن أساطيل السلطان أبى الحسن كانت نحو الستمائة
 ففرقت كلها ونجا هو على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو
 أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفى ، وأبو
 عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على
 حديث يا أبا عمير ما فعل التغير أربعمائة فائدة ، والاستاذ الزواوى أبو العباس
 وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس . وذكر الشيخ أبو عبد
 الله الابى فى شرح مسلم كلامه على أحاديث العين ما معناه : أن رجلا كان
 بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض المتورين للسلطان أبى الحسن
 'ن يصبب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فظفر اليها الرجل العائن
 فكان غرقها بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه
 جحنا اه

ولما احتل بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استثنى ربح الحياة ولائم
 لصدد وأقام الرسم وخلع على من وصل اليه من فل الاساطيل واستلحق
 استركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب من
 حواز الجزائر ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد فنهض الى جهة تلمسان

وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز اليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان احتل مصاف السلطان أبي الحسن واستبج معسكره وانتهت فساطيطه وقتل ابنه الناصر ، وظهر يومئذ من بساطته وصدق دفاعه وشدة حملاته حتى أنه اركب طعائنه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحا فتوفى بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ، ثم خلاص الى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف بن يحيى السويدي ولحق بحلبل قومه قبلة جبل وانثريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز الى سجدماسة في القفر ، فلما أطلوا عليها وعين أهلها السلطان تهاقوا عليه تهاقت الفرائش على ضوء السراج حتى خرج اليه العذارى من سطورهن ميلا اليه ورغبة في ولايته ، وهر العامل بسجدماسة الى منجاثه

وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه سجدماسة نهض اليه في قومه وجموعه بعد أن أراح عليلهم وأفاض عطاءه فيهم ، وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته لجنايتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يبعد بهم في الاسفار ويتجسم بهم المهالك والاختطار فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه ، ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن علم من حاله أنه لا يطبق دفاعهم وكان ونزمار قد أجفل عنه في قومه سويد لان أباه عريف بن يحيى كان قد نزح الى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكتب الى ابنه ونزمار ينهيه عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرتة له وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليقعن بابنه عترة وكان معه في جملة الامير أبي عنان فاتر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق بسكرة فكان بها الى أن رجع الى أبي عنان بعد هذا ، ولما قرب أبو عنان من سجدماسة أجفل السلطان عنها الى ناحية مراکش ودخل أبو عنان سجدماسة فقف أطرافها وسد فروعها وعقد عليها ليحattan بن عمر بن عبد المومن كبير بنى ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار الى مراکش فاعتزم على اتباعه اليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم الى فاس الى أن كان ما نذكره

استيلاء السلطان أبي الحسن على مراكش ثم انهزامها عنها إلى هنتاتة اهل جبل درن ووفاته هنالك



لما أجفل السلطان أبو الحسن عن سجلماسة سنة احدى وخمسين وسبعمائة قصد مراكش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ، ولما شارفها تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسلوا اليه من كل حذب ، وفر عامل مراكش الى أبي عنان ونزع الى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان الجبابة أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في الخزانة من مال الجبابة فأختصه واستكتبه وجعل اليه علامته ، واستركب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة ، وثاب له بمراكش ملك رجبى معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره

وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع فى العطاء وازاحة الملل ، ثم ارتحل فى جموع بنى مرين الى مراكش وبرز السلطان أبو الحسن للقائه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادى أم الربيع وترىص كل واحد بصاحبه عبور الوادى فعبره أبو الحسن ، وكان اللقاء بامدغوست فى آخر صفر من سنة احدى وخمسين وسبعمائة فأختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ، ولحق به أبطال بنى مرين ثم راجعوا عنه حياء وهيبة وكبى به فرسه يومئذ فى مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله ، فأعرضهم دونه أبو دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الذواودة من عرب رباح ورديف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل فى جملة الى هذا اليوم فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه رداً له ، وأسر حاجبه علال بن محمد فأودعه أبو عنان السجن ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه

وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملا من قومه هنتاتة ومن انصاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا

على المدافعة عنه وباعوه على الموت وجاء أبو غان على أثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هتانة ورتب المسالحي لحصاره وحربه وطال عليه ثوابه حتى طلب السلطان من ابنه الأبقاء عليه وأن يبعث إليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي غان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز إليه بأن يبعث له مالا وكسى فسر الحجاب ابن أبي عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أوليائه وخاصته واقتصد لاخراج الدم ثم بأمر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة (*) هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما ، والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر إلى ابنه وهو بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواد نعشه إليه فلقاه حافيا حاسرا ، وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته ؛ ثم دفن أباه بمراكش قبل جامع المنصور من القصبة بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الاشراف السعديين ، ثم لما نهض أبو غان إلى فاس احتمل شلو أبيه معه حتى دفنه بشالة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والاثر إلى الآن رحمه الله تعالى



بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أسمر طويل القامة عظيم الهيكل معتدل اللحية حسن الوجه ، وكان عفا مائلا إلى التقوى ، مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لأفنى صغره ولا في كبره ، مجبا للصالحين عدلا في رعيته

(*) حكى المؤلف قولاً آخر في كتابه « كشف العين عن ليوث بني مرين » انه مات مسموما ، وفي الروضة انه مات بذات الجنب والله أعلم .

يحب الفخر ويعنى به ، وقال بعض المشاركة فى حقه ما صورته : «ملك أضاء
المغرب بأنوار هلاله ، وجرت الى المشرق أنواء نواله و طابت نسامته
واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة
وشجاعة» . اهـ وبني رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش
قبلى جامع ابن يوسف ، قال العلامة اليفرنى فى «الزهاء» : «ان الذى بناها هو
السلطان أبو الحسن المذكور» قلت : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل
تنجيدها وتنميقها قدر قدر هذا السلطان وعلم عظم أهميته ومجته للعلم وأهله»
ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبلى المسجد الاعظم منها ، بناها رحمه الله
على هيئة بديعة وصنعة رفيعة ؛ وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب
التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ، ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها
بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها
كل ذلك محافظة على تلك الاوقاف أن تغير ، وأما المسجد الاعظم ومدرسته
الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك فى أخباره
وعندى أن السور المحمول عليه الماء الداخلى الى سلا المعروف عندهم بسور
الاقواس من بناء السلطان أبى الحسن رحمه الله ، ولى فى ذلك مستند غريب :
وهو أنى كنت ذات يوم أفأوض بعض القنافة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه
بها ويصلح ما احتاج الى الاصلاح منها ، فقلت كالمستفهم لنفسى من غير قصد
توجيه الخطاب اليه . يا ترى من الذى بنى سور الماء الداخلى الى البلد ، فقال
على البديهة : الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء ، فقلت له وكنت
متشوقاً يومئذ لتحقيق ذلك . وما علمك بهذا ؟ فقال : ان بيعة المدرسة بنيت يوم
بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره فى
سائر حيطان المدرسة وسواربها ، وهذه البيعة لم تتغير عن حالها الى أن باشرت
اصلاحها فى هذه الايام ؛ فحفرت عن قنواتها وتبعت مادة الماء الواصل اليها
فاذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها الجامع بينها
مماثل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور ، داخلة فيه بحيث بنى عليها يوم
تأسيسه من غير فرق بين هذه وتلك فى جميع عملهما ، وليس شىء

من القوات الحادثة بعدهما يشبههما، فعلمت أن الذى بناهما واحداً عجبني كلامه
وباحته فى ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتشكك
فظهر لى صدق دليله وغلب على ظنى ما جزم به وعند الله علم حقيقة الامر
واعلم أن هذا السور من المباني العادية والهياكل العظيمة التى تدل على
فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها ، وهذا
السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتدا من
القبلة الى الجوف على أضخم بناء وأحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسى
ليأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض الى الأرض متى ارتفعت
وبلغو عنها اذا انخفضت ، ويجرى على مته من الماء مقدار النهر الصغير فى
ساقية قد اتخذت له ، ولما شارب البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الأرض
عنه وكلما مر فى سيره بطريق مسلوكة فتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور
الاقواس ، وبالجمله فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة ،

وللسلطان أبى الحسن رحمه الله بفاس ومكناسة وغيرها من بلاد المغرب
آثار كثيرة ، فمن آثاره بفاس بيلة الرخام الابيض المجلوبة من المرية زنتها
مائة قطار وثلاثة وأربعون قطارا ، سبقت من المرية الى مرسى العرائش ثم
طلعت فى وادى قصر كتامة ؛ ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبايل
الى منزل أولاد محبوب الذين على ضفة وادى سبو فوسقت فيه الى أن وصلت
الى ملتقى مع وادى فاس ، ثم حملت على عجل الخشب أيضا يجرها الناس الى
أن وصلت الى مدرسة الصهريج التى بعد وادى الاندلس ؛ ثم نقلت منها بعد ذلك
بأعوام الى مدرسة الرخام التى أمر رحمه الله ببنائها جوف جامع
القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ، ومصباح هذا هو ابو الضياء مصباح
ابن عبد الله الباصلوتى الفقيه المشهور ، وانما نسبت اليه لان السلطان أبا الحسن
لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للدرس بها فنسبت اليه وقد تقدم
لا خبر المدرسة التى بناها غربى جامع الاندلس ايام أبيه وانفق عليها أكثر
من مائة الف دينار ، ومن آثاره بمكناسة الزيتون الزاويتان القدسي
والجديدة وكان بنى القدسي فى زمان أبيه والجديدة حين ولى الخلافة ، وله

فى هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء اليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها وصنعها فقعده على كرسي من كراسى الوضوء حول صهريجها ، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، ففرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد :

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن ليس لما قرت به العين ثمن
وكان له معرفة بالشعر فمن شعره قوله :

أرضى الله فى سر وجهه وأحمى العرض عن دنس ارتباب
وأعطى الوفر من مالى اختيارا وأضرب بالسيف طلى الرقاب

وأخبره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق الذى ألفه فى دولته وسيرته وسماه « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » ولما ذكر الوزير ابن الخطيب فى كتابه رقم الحلل هذا السلطان وصفه بقوله :

الملك العدود من خير سلف والدين والعفاف والجلاله
والعلم والحلم وفضل الدين وصفوة الصفوة من مريـن
ومهد الملك ومسدى المنن وواحد الدهر وفخر الزمن
باني المباني النخبة الشريفة بمقتضى همته المنيفه
وتارك المدارس الظريفة شاهدة بأنه الخليفة
وقاطع الدهر بغير لهو فى مجلس معظم أو بهو
اما لتدريس وعلم يدرس أو لبلاد من عدو تحرس
أو لآبادى فى عباد تغرس أو لثواب ورعا يتمس
أو نسخ قرآن وعرض حزب أو عدة معدة لحرب

ومن أعيان وزرائه عامر بن فتح الله السدراتى ، وعبد الله بن ابراهيم الفودودى ومن أعيان كتابه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى
(الاستعما - ناك - ١٢)

وابو محمد بن عبد الله بن ابي مدين العثماني ، وابو الحسن على بن القبايلي التيمملي رحم الله الجميع بمه
ولذكر ما كان من الاحداث في هذه المدة :

ففي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان الجديدة المسماة بالمنصورة حسبما تقدم الخبر عنها مستوفى
وفي سنة احدى عشرة وسبعمائة كان القحط بالمغرب فاستسقى الناس وخرج السلطان أبو سعيد ماشيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء بدعون الله تعالى ، وقدم بين يدي نجواه صدقات ، وفرق اموالا ، وفي يوم السبت بعده خرج في جنده الى قبر الشيخ ابي يعقوب الانقري بجبل الكندرتين فدعا هنالك ورحم الله تعالى عباده وغاث ارضه وبلاده

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير بضم الصاد وفتح الين وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب في الاحاطة ، وكان ربة آدم اللون خفيف العارضين يلبس أحسن زي ، ويدرس بجامع الاجدع من فاس يقعد على كرسي عال ليسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته وكان حسن الاقراء وقورا صبوراً ثباتاً ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك فضول

✽ قد ذكر صاحب روضة السرين بعض اولادالسلطان ابي الحسن فقال: « اولاده الذكور السلطان ابو عمر تاشفين والسلطان ابو عنان فارس والسلطان ابو سالم ابراهيم والسلطان ابو فارس عبد العزيز وابو مالك عبد الواحد وابو عبد الرحيم يعقوب وابو عامر عبد الله وسعود وداوود ويوسف وعبد الحق وابو غالب محمد وأحمد ومحمد المنتصر بالله ومحمد المسعود بالله . بناته : حضرية وام العز وتابو وتاعزنت وسونة وريمة ويامنة والزهراء وصفية وزروا وكان جميع ما ولد بين ذكر وانثى وسقط وغيره الفا وثمانمائة واثنين وستين اخبرني بذلك ثقته الشيخ المعمر علال بن محمد بن « مصمود العسكري » .

القول ولاء السلطان ابو الربيع القضاء بفاس وشد عضده فجرى في العدل على صراط مستقيم ،

وفي سنة احدى وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ أبو العباس احمد ابن محمد بن عثمان الازدي المراكشي المعروف بابن البناء الامام المشهور في علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك ، وكان رحمه الله عز وجل معروفا باتباع السنة موسوما بطهارة الاعتقاد منعوتا بالصالح وكان انتفاعه بصحبة الشيخ ابي زيد الهزميري رضى الله عنه

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في ذى القعدة منها هبت ريح شديدة بفاس ومكناسة واحوازمها واستمر هبوبها يومين وليلتين فعاقت عن الاسفار وهدمت الدور وقلعت الاشجار .

وفي سنة ثلاث وعشرين بعدها في المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة باحواز فاس بدم عييط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها وفيها كان المطر العظيم والثلج الكثير بالمغرب وعدم القمح والخطب حتى بيع القمح بفاس بدرهمين للرطل ، وفي جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فجدهه السلطان ابو سعيد من باب مدرسة العطارين الى رأس عقبة الجزائريين ، وعقد عليه هناك بابا ضخما وافرده للعطارين دون غيرهم

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الاسعار في جميع البلاد فبلغ المد من القمح بفاس خمسة عشر درهما والصحفة منه تسعين دينارا وغلا الادام وعمدت الخضر بأسرها ، وكسى السلطان ابو سعيد واطعم في هذه المسغبة شيئا كثيرا ، ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها ، وفيها في يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفها سحب عظيم وظلمة شديدة ورياح عاصفة أعقب ذلك برد كثير عظيم الجرم ترن الواحدة منه ربع رطل واقل واكثر ونزل في خلاله مطر وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب واهلكت جميع ما بجبل زالغ من الكروم والزيتون وسائر الشجر

وفى سنة خمس وعشرين بعدها ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد يأتى عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق واهلك آلاف من الخلق حتى خيف على البلد التلّف

وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة انتهى تاريخ ابن أبى زرع المسمى « بالانيس المغرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » وما هو الغاية فى باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال : « حضر أشياخنا بمجلس السلطان ابى الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورنده حبسنا أنفسهما عن الأكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما ايضا الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ فى كتابه المسمى بـ « المحاضرات » قال : « وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما استهر هذا من امرها انكره الفقيه ابو موسى ابن الامام تلى : « كانا ياكلان الطعام » فأخذ الناس يشنون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت هل تشتهين الطعام ، فقالت : « هل تشتهون اللبن بن يدى الدواب » وسئلت هل ياتها شىء فاخبرت « انها صامت ذات يوم فذكرها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى قس النام بالطعام والشراب الى الان » ، ولقد جعلها السلطان فى موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجىء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر ، قال : « بيد انى اردت ان يزداد فى عدد العدول ويضخ اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويؤكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل بها ولا يترك احدا يخلو بها (وبالجملة) يبالغ فى ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لا حتمال ان يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا فى العقود

ويشاع أمره فى العالم ، وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذى هو اضر الاحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا بالزوم ، وعند الاسباب لايها الى غير ذلك ، الا انى لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به راسا لايثار الدنيا على الدين فآيا لله وانا اليه راجعون .

قال المقرئ : « وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة » وحديثى غير واحد من الثقات ممن ادرك عائشة الجزرية انها كانت كذلك ، وان عائشة بنت أبى بكر يعنى زوجة السنطان ابى الحسن التى استشهدت فى طريف اختبارتها اربعين يوما ايضا وكم من آية أضعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء العام القريب فروطه يوشك ان يطول أمره فينسئ ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره ، وكم فيه من ادلة على اصول الملة « اه كلام الشيخ ابى عبد الله المقرئ رحمه الله ويعنى بالوباء القريب فروطه : وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الارض وتحيف العمران جملة حتى كاد يأتى على الخليقة أجمع والامور كلها بيد الله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون



الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى عنان فارس بن ابى الحسن
رحمه الله



كان السلطان محبوبا فى قومه وعشيرته ، أميرا عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيافته وعفافه واستظهار القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، أمه ام ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الان رأيت مكتوبا عليه بالنقش : « انها توفيت ليلة السبت رابع وجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ، ودفت اثر صلاة

الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفعها أعيان المشرق والمغرب » ، اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة وبويع في حياة والده يوم نار عليه بلمسان حسبما قدما الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة . ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هتانة وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى شالة فدفنه بها ، وأغذ السير الى فاس وقد استتب أمره . وخلا له الجو فاحتل بدار ملكه وأجمع (*) أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي تناولوا اليه . ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعتاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان

واتصل خبره بسلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني فجمع له قومه ومن شابعهم من زناته والعرب ، ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء بسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المرينيين وقت القائلة وعند ضرب الانبية وسقاء الركاب واقتراق أهل المعسكر في حاجاتهم ، فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافي الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو بالغبار ، حتى اذا خلص اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار ، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتل وسبا وصدفوه أسرئ ولم يزالوا في اتباعهم الى الليل ، وتقبضوا على سلطانهم أبي سعد فساقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله ، وتقدم على التعية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوت في ملكها قدمه ، وأحضر أبا

(*) في بغية الرواد أن الامر كان على ما ينبغي بين أبي عنان وملك تلمسان أبي سعيد إلى أن كتب أبو عنان لابن سعيد متشفعا في مغاوة الذين كان محاصرا لهم فرد شفاعتهم فحقن علي بن عبد الواد من أجل ذلك واستنفر الناس لغزو تلمسان الخ بغية الرواد ص ١٥٨ وما بعدها جزء أول طبع الجزائر ١٣٢١ .

سعيد فوبخه وأراه أعماله حسرات عليه ، ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأقنوا بحرايته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرم أخيه ومتخلفهم ، واحتل بوادي شلف من بلاد مغراوة فعسكر هنالك واجتمع عليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات واتصل خبره بالسلطان أبي عنان فسرّح اليه وزيره فارس بن ميمون في عساكر بنى مرين والجنبد فأغذ السير اليهم ، ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ، ولما تراءى الجمعان تصادقا الحملة وخاض النهر بعضهم الى بعض ثم صدق بنو مرين الحملة فاجتازوا النهر وانكشفت بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلحموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم ، وكتب الوزير بالفتح الى السلطان أبي عنان وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق في نفر من عشيرته وبنى أبيه فأعرضتهم قبائل زواوة فأتتهبوا أسلأهم وأرجلهم عن خيولهم ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وكتب الوزير الى أمراء الغور في شأن أبي ثابت وأصحابه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمراسد حتى عثر عليهم بعض الحشم ، فقبضوا على أبي ثابت وابن أخيه أبى زيان بن أبى سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن دواد ، فرفعوهم الى أمير بجاية أبي عبد الله محمد ابن أبى زكرياء بن أبى بكر الحفصى وكان خالصة للسلطان أبي عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى وفد بهم عليه بلمدية ، فأكرم السلطان أبو عنان وفادته وركب للقائه ، ولما تراءى نزل الحفصى عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقاء مبرة وكرامة ، وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الذواودة بمكانه من لمدية فأكرم وفادتهم ، وأسنى عطاياهم من الخلع والحملان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب ، ووافقه بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم ، وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وتقف أطرافه وسمى الى تملك افريقية على ما تذكره ان شاء الله

تملك السلطان ابي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها



لما وفد أبو عبد الله الحفصى على السلطان أبي عنان بلمدية فى شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالع فى اكرامه تاجاه بذات صدره ، وشكسا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي فى الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة ، وكان السلطان أبو عنان متشوقا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده ، فسارع الى قبول ذلك ودس اليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤوس الملائق ففعل وعوضه عنها مكناسة الزيتون ، ونقم بطانة الحفصى عليه ونزع بعضهم عنه الى افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه الى عامله على بجاية بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل ، وعقد أبو عنان عليها لعمر بن علي الوطاسي من بنى الوزير الذين قدما خبر ثورتهم بحصن تازوطا أيام يوسف بن يعقوب ، ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية ثغر افريقية انكفا راجعا الى تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها فى يوم مشهود ، وحمل أبا ثابت الزيانى ووزيره يحيى بن داوود على جملين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما فى ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ، ثم جنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح والى الله عاقبة الامور



ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها



لما قدم عمر بن علي الوطاسي بجاية واستقر بها ثقل أمره على نفوس أهلها لانهم ملكة الحفصيين وانصباغهم بالميل اليهم ، فترصبوا بالوطاسي الدوائر وكان أبو عبد الله الحفصى قد استصحب معه فى وفادته على السلطان أبي عنان حاجبه فارحا مولى ابن سيد الناس ، فلما نزل للسلطان عن بجاية

نقم فارح عليه ذلك وأسرهما فى نفسه الى أن بعثه الحفصى المذكور مع الوطاسى لينقل حرمه ومناعه وماعون داره الى المغرب ، فأتتهى الى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل فى شأنه شكا اليه الصنهاجيون سوء ملكة بنى مرين فجمع كلامهم فيه ونفث لهم بما عنده من الضغن ودعاهم الى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين ، فأجابوه الى ذلك وتواعدوا للفتك بعلى ابن عمر الوطاسى بمجلسه من القصة ، وتولى كبرها منصور بن ابراهيم بن الحاج من مشيختهم وباكره فى داره على عادة الامراء ، ولما أكب عليه ليلى أطرافه طعنه بخنجره ثم ولج عليه الباقون فاستلحموه وذلك فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاقف بدعوة أبى زيد بن محمد بن أبى بكر الحفصى صاحب قسنطينة ، وطيروا اليه بالخبر واستدعوه فتناقل عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فاتهم أبى عبدالله الحفصى بمداخلة حاجبه فارح فى ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشرف بجاية كانوا بيايه ، ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم فى الرجوع الى طاعة السلطان أبى عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الحرق ويسدوا هذه الثلمة برأس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه ، ودخلهم فى ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحس بالشر ولجأ الى دار الشيخ أبى العباس أحمد بن ادريس البجائى امام بجاية ومفتيها ، فاقترحوا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار ، فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى السلطان أبى عنان وفر منصور بن ابراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد ، وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبى عبد الله محمد بن أبى عمرو فى الكئاب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وذبحت صنهاجة فى كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبى عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين بالخوض فى الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب فأطمأن الناس وسكنوا ، وتوافد لديه وفود الذواودة من كل جهة فأجزل

صلاتهم ، ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مزني فأكرم وفادته ، ثم ارتحل الى تلمسان غرة جمادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة ووجوه بجاية قال ابن خلدون : وكنت يومئذ في جملتهم فجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب اليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا ، وانصرفوا الى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة ، قال : وانقلبت مع الحاجب بعد اساءة الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومي بلدي من الاقطاعات ، ولما احتل الحاجب ابن أبي عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث وتجهيز الكتائب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك للفتنة وأوفد أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وفادته وشكر سعيه وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد ، وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد وزرائه فنهض اليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلك سنن الحاجب قبله وسيرته وجهاز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله



خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس

ثم مقتله عقب ذلك



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل هذا ، وانه لما أقبلع عنها ثار أهل البلد وشيعه الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الامر الى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان في أمرهما وخشى عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الاندلس ليكونا مع الغزاة

والقراية فى اىالة السلطان أبى الحجاج يوسف بن الاحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الأوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى أبى الحجاج فى أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما اذا غابا عن حضرته ، وخشى أبى الحجاج غائلته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن أبى عمرو أن يكتب اليه ويبلغ فى التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور

قال ابن خلدون : وقد أوقفنى الحاجب على ذلك الكتاب بجاية قفقيست عجا من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه أبو الحجاج ابن الاحمر دس الى أبى الفضل وكان أكبر الاخوين بالحق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فنزع اليه أبو الفضل وجهاز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوغر الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الاحمر أنما ذلك كتابا الى السلطان أبى عنان يعتذر عن أمر أبى الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب ونصه :

«المقام الذى شهد الليل والنهار بأصالة سعادته وجرى الفلك السدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فويله متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تفسو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها اللطاف العجايب فسيان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم تجل سعوده عن تهور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائزا بفلج الخصام عند لد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهيج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره

فلان ، سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابنتكم الفضلى التى
 حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالخط السعيد
 ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفع فى
 العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا
 وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له
 شهابا رسدا ، وجعل نجاح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب يريد
 صر ض نفسه وهاد اليه الجيش أهدى وما هدى والصلاة والسلام على
 سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملا الكون نورا وهدى وأحيا
 مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا
 الذى بجاهه نلبس أنواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لايقطع أبدا
 والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا السبيل
 اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى
 ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا
 والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم
 ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم
 منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى
 لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفى أودا وعزما
 يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيا له من أمره رشدا ويسر لكم
 العافية الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء
 غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى
 آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بأن ملككم
 تحدى من الظهور على أعدائه بأية وأجرى جياذ السعد فى ميدان لا يحد
 بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية
 ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفًا ويسدل عليه
 من العصمة سجفًا فقاومه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفًا ونصفًا ونعتقد
 بين أبناء مسرته وبين الشكر لله خلفًا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله

زلفى ونؤمل من امداده وترتقب من جهاده وقتا يكمل به الدين ويكفى
ونزوى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم
وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد
لخضع الآمال والاعترا بمراد الآل وقال رأيه فى اقتحام الاحوال
وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم
السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن ذا يزاحم الاطواد
ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه وأضر عملا استأثر عنا باخناؤه
واستعان من عدو الدين بمعين فلا ورى لمن استنصر به زند ولا خلق لمن
تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين
سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخذه بسبب
ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعادته كآب
وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز
ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنيات غايات الامور تظهر فى
بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لاتبه ومن غالب أمر الله
خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب خسارة تلك الصفقة المعقودة وخمود
تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار
ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة
والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقيق بخلوصنا الذى يعلمه
عالم الاسرار فأعاد فى الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما
أسدى فعلم منه مال من رام يقدح زند الشتات من بعد اللثام ويشير
عجاجة المنازعة من بعد ركوب القمام هيئات تلك قلادة الله تعالى التى
ما كان ليركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم جالة لايفلتها
قيص وسددتم له من السعد سهماء له من محيص بما كان من ارسال
جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا
التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقليات والاستعمال فياله من
زجر استنطق لسان الوجود مجدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر

فجده لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ومتسبب الى نسبة غير سعيدة وشائي غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطفه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واخمد الله لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كلما فدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألسا أبرأ يمن طائركم علته ماذك الالية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بمنح الله ومنته ونسأله أن يلبسكم من اعائه أوقى جنته فأملنا أن تطرد آمالككم وتنجح فى مرضات الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتبليج ظلماته بصفاحها وكيف لانهنكم بضع على جهتنا يعود وبشاقنا تطلع منه السعود فتقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسمه فد استقلت واكنفت ودبمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهني الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخضعكم ورحمة الله وبركاته اه

ولما نزل أبو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك اثر مقدم الحاجب ابن أبى عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسعمائة ، فجهز السلطان أبو عنان اليه عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزير فارس بن ميمون بن وردار فصار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به وأخذ بمخنفه واختط مدينة لمعسكره وتجمير كتابه بسفح ذلك الجبل سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة وأن يئذ العهد الى أبى الفضل ، ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ، ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد

أكناها وسارت الالوية والجيوش في جهاتها ورتب المسالـح في ثغورها وأمصـارها

وسار أبو الفضل يتنقل في جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلمسان فاستقر فى دولتهم واندرج فى صنائعهم ، فأخذ بمخترق ابن الحميدى وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه ، وداخله فى القبض على أبى الفضل وأن يذل له من المال فى ذلك ما أحب ، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الأمير أبا الفضل ووعد من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه ابن مسلم قبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترط له من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله ليلال يسيرة من اعتقاله خنقا بمحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما ذكره ان شاء الله



وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطان الغنى بالله
على السلطان أبى عنان رحمهم الله



كان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان الدين ابن الخطيب على السلطان أبى عنان اثر مهلك السلطان أبى الحسن معزيا له بمصابه ، فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجل فى أغراض تلك السفارة وعاد الى غرناطة ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة بمصلى عيد الفطر وهو ساجد طعنه بعض الزعانف فأصمها لوقته ، وبايع الناس ابنه محمد بن يوسف الغنى بالله وقام بأمر دولته

مولاه رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاص
واستبد بالامر وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لايه من
لكتابه غيره وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى أمر
الاستبداد معا ، فجرت الدولة على أحسن حال ، ثم أن السلطان
وزيره ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبى عنان مستمدا
الطاغية على عادة سلفه فى ذلك ، قال ابن الخطيب : لا أشرف
فاس فى غرض هذه الرسالة خاطبنى الخطيب الرئيس أبو عبد
مرزوق التلمسانى بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :
ياقادما وافي بكل نجاح أبشر بما تلقاه م
هذى ذرى ملك الملوك فلذ بها تل المنى وتفز بك
مغنى الامام أبى عنان يضمن تقطر ببحر بالندا
من قاس جود أبى عنان فى الندا بسواه قاس البحر
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل
فلجود كعب وابن سعد فى الندا ذكر محاه عن :
ما أن سمعت ولا رأيت بمثلته من أريحى للندا
يسل الامان على الانام فأصبحوا قد ألحفوا منه بـ
وهمى على العافين سيب نواله حتى حكى سح
فنواله وجلاله وفعاله فاقت وأعيت السن
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المنى تنقاد بـ
من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الاحزان
فانهض أبا عبد الاله تفز بما تبغيه من أمل ونـ
لا زلت ترثشف الامانى راحة من راحة المولى
فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لاتحصى ، -
جمعينا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى ، فطلما كان معظم
فى خبال وللأسف بين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقدو
المحل المولى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه

ولا ارتياب ، فها أنت تجتنى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا
وتتلقى أحاديث مكارمه ومواجهه مسندة صحاحا بحول الله تعالى وليسدى
الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض ما لدى
المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمري لقد كان وافد على سيدى فى
مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على افضل أحواله
قال ابن الخطيب : فراجعت بما نصه :

راحت تذكرنى كؤس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما دل النسيم على انبلاج صباح
حسناه قد غنت بحسن صفاتها عن دملج وقلادة ووشاح
أمتت تحض على اللباد بمن جرت بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس شمس المعالى الازهر الوضاح
ما شئت من شيم ومن همم غدت كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه أنى يقاس الغمر بالفضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه ال منصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها تزرى بدر هدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قسام فى العرف منها راحة الارواح
ما زلت أجعل ذكره وثناء روى وريحانى الاربيح وراح
ولقد تمازج حبه بجوارحى كتمازج الاجسام بالارواح
ولو أننى أبصرت يوما فى يدى أمرى لطرت اليه دون جناح
فالان ساعدنى الزمان وأيقنت من قربه نفسى بفوز قدام
ايه أبا عبد الاله وانسه لنداء ود فى علاك صراح
أما اذا استجذنتى من بعد ما ركدت لما جنت الخطوب رياح
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ قررت عجزى واطرحت سلاح
سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتى رقتك
التي ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت والفتى وقد سطت بى
الايحال حتى كادت تلتف الرحال والحاجة الى الغداء قد شمרת عن
(الاستقما - ثالث - ١٣)

كنسح البطين وثانية المجاوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه ، ففرتى بكسية بيان اسدها هسور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثل بالعجز فى المضائق حول ومئة وقول لا أدرى للعالم فكيف بغيره جنة لكنها بشرتى بما يقل مؤذيه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب ولا مجازات للأعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال ويلفها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهدية والتخفة الودية وقتلتها امتالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا فى الندرة فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارضة من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره ، وسيدى فى الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض وفرض فرض ، وعلى نظره المولى ، واعتماد أعضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم به ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذى القعدة سنة خمس وخمسين وسعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان واللاحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله» اهـ

ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها ومثل بين يديه واستأذنه فى انشاد شيء من الشعر

يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجحك في الثائبات بدر دجا لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس لولاك ما أوطئوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت جبههم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الامر انه وطن في غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهم فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتمر السلطان أبو عنان لهذه الايات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم » ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أنقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه قال ابن خلدون: قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد « لم نسمع بسفير فضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا » ونص الكتاب الذي قدم به ابن الخطيب : « المقام الذي يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونسقيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرت من الاعتماد عليه أسنى ذخريته الولد عن آباءه وجدوده مقام محل أئينا الذي رعى الازمة شأنه وصلة الراعى سحبة انفرد بها سلطانه ومواعيد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنباه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لولادها أوليؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكسارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتابه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله

على لاجب طرقة المستضى فى ظلمة الخطب بنور أفضه الامير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى ييده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شىء عن ميقاته ولا يرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ نقلة ، لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله ، وسيل رحلة فما أكثب ظلمه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبائه وسيد رسله الذى نعظم بسببه الاقوى وتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كنبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لاتطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها ، وغناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب متماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطفه تعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفندتهم فوجد ما تهوى ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى يقضيها كرم الطبايع وطباع الكرم وتدعو اليها ذم الرعى ورعى الذم ، نعرفكم بعد الدعاء للملكم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه تعالى بالسعادة التى أنبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها لعة لمن ألقى السمع وموعظة تهز التجمع وترسل الدعم وحادثة أجمل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان

أخرس اللسان هولها وأسلم العبادة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العيد آمنا بين فومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والأجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلبابه والسلاح زاهر عبايه والدين بهذا القطر قد أئيع بالامن جنباه وأمر من يقول للشيء كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يره وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قبضه الله تعالى أسعاده غير معروف ولا منسوب وخيبت لم يكن معتبر ولا محسوب تخلص الصفوف المعقودة وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لاتدل العين عليه شارة ولا بزة ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة وانما هو خيبت مرور وكللب عقور وحية سمها وحى محذور وآله مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبتته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلفان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شيء عنه ينقل لطفنا من الله أفاد براءة الذم وتعاورته للحين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتنة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك بنظر من الطرف الحسير وينهض بالجنح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى جمع التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب أن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء ملكه ولما شئت دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قدجمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم يتخلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى

ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفنة عرف ولا أغفل
للهين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا
الى مخاطبة البلاد نمهدا ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونسكنها
وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسألة
المفقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على
النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى
صلة السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى
على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا
تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار
وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعاننا على
اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار
وألهما من شكره ما تكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان
فقدنا والدنا فاتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب
يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم
لبنيه فقد تسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت
مبانيه فلاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول
وفى تقرير فخركم محصول وأتم ردة المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى
يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند
ما استقر هذا الامر الذى تبعته المحنة فيه المنحة وراقت من فضل الله تعالى
ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم
وأعيانهم وتزاحمت على رفقها المنشور خطوط أيمانهم وتاصلت قواعد
ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد
خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته
فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر
والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا
الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد

خاطبتنا من خدامكم من يادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده
 وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين ووقعها الى
 استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده
 الحسان ليكون أبلغ في البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان فوجها اليكم
 وزير أمرنا وكاتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب
 وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع
 اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والتمرة
 العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وفاع
 أعدائنا آتينا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومضار الحال عليه والمرغوب
 من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه فبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية
 العالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من
 غير الايام واللىالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى
 نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته اه
 وللسلطان الغنى بالله هذا مع السلطان أبى غان رحمهما الله مراسلات
 عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب نفح الطيب منها جملة وافرة مع
 التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو غان الوزير ابن
 الخطيب فى هذه الوفادة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة
 طويلة طنانة يقول فى أولها :

أبدى لداعى الفوز وجه منيب وأفاق من عذل ومن تانيسب
 ويقول فى أنائها :

يا ناصر الدين الحنيف وأهله	انضاء مسغبة وفل خطوب
حقق خلون بنيه فيك فانهم	يتعللون بوعذك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا	بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم	أوليس صبحك منهم بقريب
فانظرو بعين العز من ثغر غدا	حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتكم أندلس ومجدك ضامن	ألا يخيب لديك ذو مطلوب

وهى طويلة .

والورع والانقطاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعلم قدره ، فتحركت همه السلطان أبى عنان لزيارته والاقبال مما يفتح الله به من وعظه وإشارته ، فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمئة الى سلا فقدمها وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون اليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولي ، ثم أرسل اليه ولده راغبا ومستعطفا فأجابه بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب اليه كتابا وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاته من الاجتماع بالشيخ ، وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد ابن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي المدعو بالحافى فى كتابه «تحفة الزائر فى مناقب الشيخ ابن عاشر» نص هذا الكتاب ولم يحضرنى الآن فانظره فيه وبالله تعالى التوفيق



غزوة السلطان أبى عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها



لما كان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمئة اعترم السلطان أبو عنان على النهوض الى افريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد ، وبعث فى الحشد الى مراكش وأوعز الى بنى مرين بأخذ الاهبة للسفر وجلس للعباء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض الى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين بعدها ، ثم ارتحل من فاس وسرح فى مقدمته وزيره فارس بن ميمون فى العساكر وسار هو فى ساقته على النجدة الى أن احتل ببجاية وتلوم لازاحة العلل ، ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بجنوده دعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الازدعان ، وانفضوا من حول سلطانهم أبى العباس أحمد بن محمد ابن أبى بكر الحفصى وجاءوا مهطعين الى السلطان أبى عنان ، وتحجيز

الحفصى فى خاصته الى القصبة ثم طلبوا الامان من السلطان أبى عنان فبذله لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ، ثم بعث بأبى العباس فى الاسطول الى سبتة فاعتقله بها ، وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج خلوف اليبانى من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة فى شعبان من السنة المذكورة ، ووصلت اليه بيعات أمراء الاطراف من توزر ونفطة وقابس وغيرها ، ووفد عليه أولاد مهلهل أمراء بنى كعب من سليم وأقبال بنى أبى الليل منهم يستحثونه لملك تونس فصرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى ابن عبد الرحمن بن تاشفين * وبعث أسطوله فى البحر مدادهم وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف المعروف بالابكم من أمراء بنى الاحمر

وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق ابراهيم بن أبى بكر الحفصى ولما اتصل به خبر بنى مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقاتلهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية فتحصن بها ، ودخل أولياء السلطان الى تونس فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وأفاموا بها الدعوة المرينية ، واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتب الى السلطان أبى عنان بالفتح فعظم سروره ، ونظر بعد ذلك فى أحوال ذلك القطر وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاة التى يسمونها الخفارة ، فارتابوا وطالبهم بالرهن عن الطاعة ، فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن على ولحقوا بالزاب ، وارتحل السلطان فى أثرهم فأجفلوا أمامه الى القفر فخرّب حصونهم التى بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى عامل بسكرة والزاب جبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادم والحنطة والحملان والعلوفة ثلاثة أيام ، وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم

ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس ، وضاقّت العساكر ذرعا بشأن التفقات والابعاد فى الرحلة وارتكاب الخطر فى دخول

افريقية ، فتمشت رجالهم في الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون في ذلك فوافقهم ؛ ثم أذن شيوخ العسكر وتقبؤه لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى بقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبي عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان بن أبي العلاء للامر فأسرهما في نفسه ولم يدها لهم ، ورأى فلة من معه من الجند فارتاب وكر راجعا الى المغرب بعد أن كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين ؛ فانكفأ وأغذ السير الى فاس فاحتل بها غرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة ، وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بمداخلة بنى مرين في شأنه وقتله رابع أيام التشريق قصصا بالرماح ، وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع طائفة منهم السجن

ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات ؛ فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها ثارت شيعة الحفصيين على من كان بها من جيش بنى مرين فنجدوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب ، وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولاد مهلهل وكان يوم الهبة بناحية الجريد لاقتضاء جايته فصبوا الى المغرب واجتمعوا كلهم باب السلطان أبي عنان فأرجأ حركه الى العام القابل وكان ما تذكره ان شاء الله .



وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية



لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستم فتحها بقى في نفسه منها شيء وخشى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افريقية فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن

على وفر الى القصر أقام مكانه أخاه المنازع له فى رياسة رياح ميمون بن على وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو فنزع اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من أولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا بحملهم على معسكره ثم ارتحل السلطان أبو عنان من فاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها لمشاركة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يقاوزه فى أحوال الذواودة لرسوخه فى معرفتها؛ فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أورابن (*) واقتضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الذواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك؛ وانهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افرقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعا الى المغرب فوافى السلطان أبا عنان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم فى العطاء بالزاب وكتب لهم بذلك واثقلوا الى أهلهم فرحين مقتبطين ، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنى أوفدم أبوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاختفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمئة

وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدى العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض بالصلى وأعجله طائف الوجة عن الجلوس للناس يوم العيد على العادة فدخل قصره ولزم فراشه

وذكر ابن خلدون ما حصله : « انه كانت بين الوزير حسن بن عمر

(*) صوابه أوراس

الفودودى وبين ولى العهد أبى زيان محمد بن السلطان أبى عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير المذكور مع من كان على رايه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من أبناء السلطان فأجمعوا الفتك به والبيعة لآخيه أبى بكر السعيد طفلا خماسيا ، ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماسى بتطلب أبى زيان ولى العهد فى نواحى القصر والتقصض عليه فدخل اليه وتلطف فى اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فباع وئلا الى بعض حجر القصر فأتلقت فيها مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن(*) يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرّد بالامر والنهى دونه « انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية .

وقال فى الجدوة : « توفى السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن ابن عمر الفودودى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة متم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفى ثلاثون سنة »



بقية أخبار السلطان أبى عنان وسيرته



كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة ؛ طويل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف البدن عالى الانف حسنه ؛ أعين أدهج جهورى الصوت فى كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها وإذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستين موضع الذقن ؛ وكان فارسا شجاعا يقوم فى الحرب مقام جنده ، وكان فقيها

[*] بجامع المدينة البيضاء [فاس] وكانت دولته تسعة اعوام وتسعة أشهر .

ينظر العلماء الجلة عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمى العربية والحساب ؛ وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم كاتباً بليغاً ، حسن التوقيع شاعراً أنشد له صاحب الجذوة أشعاراً حسنة من ذلك فى الحكمة قوله :

وإذا تصدر للرئاسة خامل * جرت الامور على الطريق الاعوج
وقال ابن الاحمر : « كنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر اليه قال بديهية :

تراهم فى ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداع»
وللسultan أبى عنان رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ، ومدرسته العناية بفاس مشهورة الى الآن ؛ ومن مدارسه المدرسة العجبية بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقاً يعرف بتفندق اسكور ومما قاله أبو بكر بن جزى فى بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله :

هذا محل الفضل والايثار	والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى	فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد	لاين السيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس	أكرم بها فى المجد من آثار
لا زال منصور اللواء مظفرا	ماضى العزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديم با	بهم العلى محمد بن حـ
فى عام أربعة وخمسين انقضت	من بعد سبعين فى الاعصار

وقال صاحب الجذوة: « حدثنى شيخنا أبو راشد اليدرى أن السلطان أبا عنان هو الذى أحدث بفاس العلم الازرق فى الصومعة يوم الجمعة »
وقال فى موضوع آخر منها : « حكى أن السلطان أبا عنان المرينى صعد الصومعة بعنى بالقرويين ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجاة وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام » وذلك فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، قال : وأمر بآثر

ذلك بأن ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشر فيه علم فى الاوقات
التي يصلى فيها ، وفنار فيه سراج مزهر فى أوقات صلاة الليل ليستدل بذلك
من بعد ومن لم يسمع النداء ، وفى ذلك اعتناء بأمور الاوقاف وما يتعلق بها من
وجوب الصلوات ويترتب عليها من وجوه الحقوق فى العادات والعبادات
ومما قيل فى ذلك

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلهم لديه للرشد اصدار وايراد
وقد لخص ابن الخطيب رحمه الله فى رقم الحل سيرة السلطان أبى
عنان فقال :

وخلص الامر لكف فارس	باني الزوايا الكثر والمدارس
الاسد المقترس المصنوع له	من نال من كل المساعي أمله
واحد أحاد الملوك العظما	ومطلع النصر اذا ما أقدمنا
ومخجل الغيث اذا الغيث هما	وعالم الملك وملك العلمما
أوجب حق الشعر والكتابة	فاملت أعلامها جنابه
واستجلب الامائل الكبارا	والنهاء العلية الاخيارا
يجبرهم على حضور الدولة	فهم بدور وشموس حوله
وكان جبارا على خدامه	ينالهم بالقسر فى أحكامه
مذهبه ألا يقيل عشرة	حتى لارباب التقى والائيرة
فطرة السيف تنافى الدرة	اذ غلبت على المزاج المرة
ومات فيما قيل شر ميتة	بغيلة لنفسه مفتته
لم يغن عنه الباس والبسالة	وأصبحت مهجته مسالة
وألقيت أزمة التدبير	من بعده فى راحة الوزير

ومن أعيان كتابه : أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى

ومن أعيان قضاته : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ وهو
جد أبى العباس المقرئ صاحب نفح الطيب وغيره من التأليف الجسان ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالى وغيرهما رحم الله الجميع (*)

(*) ذكر صاحب روضة السرين اولاد السلطان ابى عنان فقال : اولاده الذكور
السلطان ابو زيان محمد والسلطان ابو يحيى ابو بكر السعيد والسلطان موسى والمهدى
بالله والمعتمد على الله محمد والمعتصم بالله محمد والمنتصر بالله محمد والمسكتفى بالله محمد
والواثق بالله محمد ومحمد المدعو بأبى طريق . بناته : فاطمة الصالحة وست العرب ورقية
وعائشة وزنو وسكينة وسما وأم جعفر وأم هانى وجندوزة ولما العزيز المدعوة
بمديلة . وكان جميع ما ولد ثلاثائة ونحو خمسة وعشرين ما بين سقط وغيره .



تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله :

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله
ابى بكر بن ابى عنان بن ابى الحسن المرينى



فهرس الموضوعات

صفحة	
٣	الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم وأصلهم
٤	الخبر عن دخول بنى مرين ارض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك
٥	الخبر عن رياسة أبى محمد عبد الحق بن محيو المرينى رحمه الله حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله
٧	بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته
٨	الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله
٩	الخبر عن رياسة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق
١٠	الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله
١١	استيلاء الامير أبى بكر عن مكناسة وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته
١٢	استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له
١٤	انتفاض فاس على الامير أبى بكر ومحاصرته ايام
١٥	استيلاء الامير أبى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك
١٧	استيلاء الامير أبى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة
١٨	وفاة الامير أبى بكر رحمه الله
١٩	الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله
١٩	

- الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق
 ٢٠ رحمه الله
- استيلاء نصارى الاسبينول على مدينة سلا وإيقاع السلطان
 ٢١ يعقوب بهم وطردهم عنها
- خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن
 ٢٢ عبد الحق رحمه الله
- حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبى دبوس منها
 ٢٤ اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك
- وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان
 ٢٥ فتح حضرة مراکش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين
 ٢٦ بها
- مراسلة السلطان أبى عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى
 ٢٨ للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا وما نشأ
 ٢٩ عن ذلك من خروج قرابته عليه
- هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب
 ٢١ ووقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن
 ٣١ زيان
- وفاة الامير أبى مالك بن أمير المسلمين أبى يوسف
 ٣٣ فتح طنجة وسبته وما كان عن أمر العزفى بهما
- ٣٤ فتح سجلماسة وما كان من أمرها
- ٣٦ تاريخ وجود البارود
- أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى فى
 الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل
 ٣٧ رحمه الله

- ٣٩ الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
فتح جبل تيممل ونش قبور بني عبد المومن على يد الملياني
٤٢ عفا الله عنه
٤٤ بناء المدينة البيضاء المسماة بقاس الجديد
٤٥ الجواز الثاني للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
٤٩ حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغنيا للطاغية ومغتصبا
فرصة الجهاد
٥٥
٥٦ انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب في ذلك
٥٨ الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحواز الجزيرة الخضراء وعقد
الصلح بينهما والسبب في ذلك
٦٢
٦٥ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
٦٥ بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته
الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله تعالى
٦٦ قدوم بني اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم
٦٨ قصر كنامة والسبب في ذلك
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان
صاحب تلمسان
٦٨
٧٠ انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية
٧١ على الطريق بمظاهرة ابن الاحمر له
٧٢ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا
انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه
٤٧ بطنجة

- فتكة ابن الملياني شيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب
في ذلك ٧٧
- الحصار الطويل على تلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث ٧٩
- نكبة بنى وقاصة يهود فاس ٨٠
- انتفاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبى سعيد على سبتة ٨٢
- ثورة عثمان بن أبى العلاء بجبال غمارة ٨٣
- وفاة السلطان يوسف رحمه الله ٨٥
- بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته ٨٨
- دخول الشريف المولى حسن جد الملوك العلويين من الينبع الى
سجلماسة ٨٨
- بناء قصبة تطاوين ٨٩
- وفاة أبى يعقوب الانقر ٨٩
- عمل المولد النبوى بالمغرب ٩٠
- رفع أيدي الموثقين من الشهادة بفاس ٩٠
- الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن
يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٩١
- ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وما كان من
أمره ٩٣
- غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن
أبى العلاء ٩٥
- بناء مدينة تطاوين القديمة ٩٦
- الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد
الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٩٧
- نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال
بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك ٩٩
- انتفاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين ١٠٠

- انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان
 ١٠١ أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك
 ١٠٢ قضية أبي الحسن الصغير
 الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد يعقوب بن عبد الحق
 ١٠٣ رحمه الله
 ١٠٤ غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان
 خروج الامير أبي على على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في
 ١٠٥ ذلك
 وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصراخهم أياه
 ١٠٨ على الطاغية وما نشأ عن ذلك
 انتقاض الامير أبي على على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن
 ١١٠ ذلك
 ١١١ بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله
 ١١٣ أخبار بني العزفي أصحاب سبتة
 المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي
 ١١٦ بكر بن أبي زكرياء الحنفسي والسبب في ذلك
 ١١٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله
 الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن على بن عثمان
 ١١٨ بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
 حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وابي على ثم مقتل أبي على
 ١١٩ والسبب في ذلك
 وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس
 ١٢١ وفتح جبل طارق
 فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابن تاشفين وانقراض الدولة الاولى
 ١٢٣ لبني زيان

- ١٢٧ مراسلة السلطان أبى الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله
- ١٣٢ نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبى الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك
- ١٣٣ ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من أمره
- ١٣٤ أخبار السلطان أبى الحسن فى الجهاد وما كان من وقعة طريف التى محض الله فيها المسلمين وغير ذلك
- ١٣٧ استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء
- ١٣٩ بقية أخبار بنى العلاء
- ١٤٠ مراسلة السلطان. أبى الحسن لصاحب مصر أبى الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون
- ١٥١ هدية السلطان أبى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب
- ١٥٣ مصاهرة السلطان أبى الحسن ثانيا مع السلطان أبى بكر الحفصى رحمهما الله
- ١٥٤ غزو السلطان أبى الحسن افريقيا واستيلاؤه على تونس وأعمالها انتقاض عرب بسليم بافريقية على السلطان أبى الحسن وما نشأ
- ١٥٨ عن ذلك
- ١٦٢ انتقاض الاطراف وثورة أبى عنان ابن السلطان أبى الحسن واستيلاؤه على المغرب
- ١٦٦ أصل الاشراف الصقليين
- ١٧٠ ركوب السلطان أبى الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن
- ١٧٣ استيلاء السلطان أبى الحسن على مراكش ثم انهزامه عنها الى هنتاة أهل جبل درن ووفاته هناك
- ١٧٤ بقية أخبار السلطان أبى الحسن وسيرته

- ١٧٥ بناء المدرسة العظمى بطالعة سلا
 ١٧٥ سور الماء الداخل الى سلا المعروف بالاقواس
 ١٧٦ المدرسة المصباحية بفاس
 ١٧٨ وفاة أبي الحسن الصغير
 ١٧٩ وفاة ابن البناء
 الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي
 ١٨١ الحسن رحمه الله
 ١٨٤ تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي
 ١٨٤ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
 خروج أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم
 ١٨٦ مقتله عقب ذلك
 ١٩٠ مدينة القاهرة بأرض السوس
 وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغني بالله على
 ١٩١ السلطان أبي عنان رحمهم الله
 رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارحه على وليها الاكبر أبي
 ٢٠٠ العباس بن عاشر رضي الله عنه
 ٢٠١ غزو السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها
 ٢٠٣ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالساكر الى افريقية
 ٢٠٤ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله
 ٢٠٥ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته

فهرس الاعلام والقبائل

حرف «أ»

- محمد ١٠١ - ١٢١
 ابن الاحمر : أبو الحجاج يوسف بن
 اسمعيل ١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧
 ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٦ - ١٨٧
 ١٩١
 ابن الاحمر : أبو سعيد فرج بن
 اسمعيل ٧٣ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٥
 ٩٦ - ١١٣
 ابن الاحمر : أبو الوليد اسمعيل بن
 أبي سعيد فرج ١٢١
 ابن الاحمر : عبد الله بن أبي الحجاج
 ١٩٦
 ابن الاحمر : محمد بن اسمعيل بن
 أبي سعيد فرج ١٢١ - ١٢٢
 ١٢٣ - ١٣٩
 ابن الاحمر : محمد بن محمد الفقيه
 المخلوع ٨٢ - ١١٣
 ابن الاحمر : محمد بن يوسف بن
 نصر ٣٧
 ابن الاحمر : محمد بن يوسف الابكم
 ٢٠٢
 ابن الاحمر : محمد بن يوسف الغنى
 بالله ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٩
- آل زيان ٨٦
 آل الحسين السبط ١٦٦
 آل عبد المؤمن ٢٧ - ٣٥ - ٤٤
 آل يغمراسن ٨٠ - ١١٦
 ابراهيم بن أبي حاتم العزفى ١١٧
 ابراهيم بن عيسى اليرباني ١٠١
 ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤
 ابراهيم بن هشام ١٦
 ابراهيم بن وقاصه ٨١
 ابن أبي دبوس ١٦١
 ابن أبي زرع ٨ - ٤٤ - ٩٦
 ١٨٠
 ابن أبي العلاء ٩٦
 ابن أبي عمارة ٦١
 ابن أبي عمرو ١٨٦ - ١٨٧
 ١٩٠
 ابن أبي عياد ٩٤
 ابن أبي وطاق ١٥ - ١٧
 ابن الاثير ٣٥
 ابن الاحمر ٢٠٦
 ابن الاحمر : أبو الجيوش نصر بن

ابن عبد السلام ١٥٦	ابن الأحمر : محمد الفقيه ٣٢
ابن عرفة ١٥٤ - ١٥٦	٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٨
ابن عطوش ٢٥	٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣
ابن عطية المفسر ٦٤	٥٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦
ابن علان ٨٠	٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥
ابن كانون ٥١	٨٢
ابن محلى ٥٠ - ٥٧٥٣	ابن أذفونش ٤٥ - ٥٣
ابن مرزوق ١٣٠	ابن تافرجين ١٦١ - ١٦٢
ابن مزنى ١٨٣	ابن حجاج ٣٦
ابن الملياني ٧٨ - ٩٧	ابن جحاف ٨٧
ابن هرون ١٥٦	ابن جرار ١٦٥
ابن هيدور الجزار ١٣٣ - ١٣٤	ابن جشار ١٥ - ١٧
أبو ابراهيم بن يوسف بن عبدالمومن ٦	ابن الحميدى ١٩١
أبو اسحق ابراهيم بن أبى بكر - الحفصى ٢٠٢	ابن خلدون ٣ - ١٧ - ٣٠
أبو اسحق بن أبى الحسن ٦٨	٣٩ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ - ٨٦
أبو اسحق بن أبى العاص ١٠٩	٩٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٧
أبو اسحق ابراهيم بن اشقيلولة ٤٠	١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٢
٤٥ - ٦٨	١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٨٧
أبو اسحق الساحلى ١٥٢	١٩٥ - ٢٠٤
أبو البقاء يعيش ١٠٤ - ١٠٥	ابن الخطيب ٥٥ - ٧٨ - ١١٥
أبو بكر بن زكرياء الحفصى ١١٦	١٢٦ - ١٦٦ - ١٧٤ - ١٧٧
١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣٢	١٧٨ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
أبو بكر بن حمامة ٤	١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠٧
أبو بكر بن جزى ٢٠٦	ابن راشد القفصى ١٥٦
أبو بكر بن عبد الحق ٩ - ١١	ابن زيان البلشى ١٠٩
١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦	ابن عبد الرحمن المغلى ١٥
	ابن عبد الرفيع ١٥٦

٦٨	١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١
٤٤	٣٥-٣٦-٣٨-٧٤
١٠١	أبو بكر بن يعقوب ٧٦-٧٧
أبو الحسن الصغير على بن محمد	٧٩-٩٢
الزروبي ١٠٢-١١٣-١٨٧	أبو بكر بن يغمراسن ١٦
١٧٨	أبو بكر الحفصى ١٢٥-١٣٤
أبو الحسن على بن الحاج ٥٨	١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦
أبو الحسن على بن عثمان ١٠٣	١٦٢
أبو الحسن على بن القبائلى التيملى	أبو بكر السعيد بن أبى عنان ٢٠٠
١٧٨	٢٠٥
أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن	أبو تاشفين الزياتى ١١٩-١٢٠
يعقوب بن عبد الحق المرنسى	١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦
السلطان الاكل ١٠٣-١٠٥	أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو
١٠٦-١٠٧-١١٠	١١٦
١١١-١١٢-١١٦	أبو ثابت بن عبد الرحمن الزياتى
١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠	١٧٢-١٨٢-١٨٣-١٨٤
١٢١-١٢٣-١٢٤-١٢٥	أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٢٩	٨٤-٨٧-٩١-٩٢-٩٣
١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤	٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٩
١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨	١٣٩
١٤٠-١٤٧-١٥١-١٥٢	أبو حاتم العزفى ٥١-١١٣
١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦	١١٤
١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠	أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمدانى
١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٥	- ابن الامير ٣٤-٣٥
١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩	أبو حديد مفتاح بن أبى بكر ١٨
١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣	أبو الحسن بن أبى العافى ١٢
١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧	أبو الحسن بن اسحق بن اسقيلولة
١٨٦-١٩١	

- أبو الحسن علي بن يزكاسن ٦٦
أبو حفص بن أبي بكر بن عبد الحق
المريني ٣٥١٩
أبو حفص عمر بن يغمراسن ٢٦
أبو حفص عمر المرتضى ٣٤ - ٣٦
أبو حفص عمر المريني ٢٠
أبو الحكم مالك بن المرحل السبي ٨٨
أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن
٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٢ - ١٠٤
أبو خالد محيو بن أبي بكر ٤
أبو الخيل بن عامر بن يحيى ٧٣
أبو دبوس ادريس بن محمد بن أبي
حفص بن عبد المومن ١٤ - ٢٤
٢٥ - ٢٦ - ٢٧
٢٦ - ٢٧ - ١٦٢
أبو دينان سليمان بن علي ١٧٣
أبو راشد اليدري ٢٠٦
أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد
الله بن يوسف بن عبد الحق المريني
٧٤ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١
١٠٣ - ١٠٤ - ١١٣
١١٤ - ١٢٥ - ١٧٩
أبوزكرياء بن أبي بكر الحفصي ١١٦
١١٧ - ١١٩
أبو زكرياء بن أبي حفص ١٢
- أبو زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي
١١٣ - ١١٥
أبو زكرياء يحيى - الوائق - الحفصي
٢٩ - ٥٣
أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب العزفي
١١٤
أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد
الهنثاتي ٢٨
أبو زكرياء يحيى بن مليلة ١٠١
أبو زيان بن أبي سعيد ١٨٣
أبو زيان بن أبي عنان ٢٠٥
أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ٨٦
٨٧ - ٩٢
أبو زيان محمد بن عبد القسوى بن
العباس بن عطية ٣٣ - ٣٨ - ٣٩
أبو زيان منديل بن يعقوب ٤٨
٥١ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٧
أبو زيد عبد الرحمن بن أبي طالب
١١٣ - ١٢٦
أبو زيد الحفصي ١٨٦
أبو زيد الغفاري ٨٣ - ٨٤
أبو زيد الفاسي ٣٦
أبو زيد محمد بن أبي بكر الحفصي
١٨٥
أبو سالم ابراهيم بن يوسف ٨٢
٩١ - ٩٢
أبو سالم بن أبي الحسن المريسي

- ١٨٥ أبو العباس أحمد ابن عائش الاندلسي
٢٠٠ - ٢٠١
أبو العباس أحمد بن عائش السلاوي
- الحافى - ٢٠١
أبو العباس أحمد بن محمد الازدى
- ابن البناء - ١٧٩
أبو العباس أحمد بن رافع
الصقلى ١٦٦
أبو العباس أحمد بن على المليانى ٧٧
أبو العباس الزواوى ١٧١
أبو العباس الغمارى ٢٩ - ٥٣
أبو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى
١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ - ١٧٠
أبو العباس المقرئ ١٢٢ - ١٥١
٢٠٧
أبو العباس الونشريسى ١٥٤
أبو عبد الرحمن بن أبى الحسن
المرينى ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢
١٣٣
أبو عبد الرحمن المغبلى ١٥
أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف
٦٩ - ٧٥
أبو عبد الله الآجمى ١٥٤
أبو عبد الله الابى ١٧١
أبو عبد الله بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى
- ١٦٠ - ١٨٦
أبو سالم فتح الله السدراى ٤٤
أبو سعيد الاصغر ١٠٣
أبو سعيد الاكبر ١٠٣
أبو سعيد بن أبى الربيع القبائلى ٤٣
أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء ٩٨
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى
٩
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الزيانى
١٨٢
أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
المرينى ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨
١١٩ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠
١٧٨ - ١٧٩
أبو سلطان عزيز الدانى ٧٤ - ٨٢
أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصلى
١٧٦
أبو طالب بن محمد أبى مدين ١٥٢
أبو عامر عبد الله بن يوسف ٦٧
٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٩١
أبو العباس ١٤
أبو العباس أحمد بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى

- أبو عبد الله بن أبي الحسن بن
اشقيلولة ٤٥
أبو عبد الله بناني ١٣٦
أبو عبد الله بن الجياك ٤٤
أبو عبد الله بن خالد ١٥٦
أبو عبد الله بن عبد الرزاق ١١٧
أبو عبد الله بن مرزوق ١٢٨
أبو عبد الله بن يعلو ١٧ - ٢١
أبو عبد الله الطنجالي ١٠٩
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الابلي ٨٦
أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن
أبي بكر الحفصي ١٥٥ - ١٥٦
١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ٢٠٨
أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ ٢٠٧
أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ٨٢
أبو عبد الله محمد بن سليمان السطلي ١٧١
أبو عبد الله محمد بن الصباع المكناسي ١٧١
أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ١٥٤
أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله
- ابن الحاج ٢٢
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي
عمرو ١٦٥ - ١٨٤
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد
المقرئ ١٨٠
أبو عبد الله محمد بن مرزوق ١٩٢
أبو عبد الله محمد الكناسي ٢٩ -
١٠٧
أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن
أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ١٥٥
أبو عثمان الوريانكي ٢٠
أبو عطية العباس بن يعقوب ٦٦
أبو عطية مهلهل بن يحيى الخلطي
١٥٣
أبو علي أحمد الملياني ٤٣ - ٧٧
أبو علي بن محمد ١٤
أبو علي وانودين ٦
أبو علي عمر بن السعود بن خرباش
الحشمي ٨٣
أبو علي عمر بن عثمان (أبو سعيد
المريني) ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧
١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣
١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢
١٢٣
أبو غنان فارس بن أبي الحسن المريني
١١٢ - ١٢٣ - ١٣٩ -

- ١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
 ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١
 ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
 ١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
 ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧
 أبو عنان فارس يغمراسن ٣٢
 أبو عياد بن أبي يحيى بن حمامة ١٣
 أبو عياد بن عبد الحق ٩
 أبو غالب المغيلي ١٠/١
 أبو فارس عبد العزيز المزوزي ٨٨
 ٩١
 أبو القداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون
 ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٧
 أبو الفضل بن أبي الحسن المريني
 ١٧٠ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩
 ١٩٠ - ١٩١
 أبو الفضل بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٧
 ١٥٣
 أبو القاسم البرجي ٢٠٧
 أبو القاسم بن أبي العباس العزفي
 ٣٤ - ٣٥
 أبو القاسم بن أبي مدين العثمانسي
 ١/١٥
 أبو القاسم الرحوي ١٥٨
 أبو القاسم بن رضوان ٢٠٧
- أبو القاسم بن غنو ١١٧ - ١٥٤
 ١٥٦ - ١٧٠
 أبو القاسم الشريف ١٩٥
 أبو مالك بن أبي الحسن المريني ١٢٢
 ١٢٥ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥
 أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب ٢٣
 ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣
 أبو محمد بن أجانا ١٦٨
 أبو محمد بن اشقيولة ٤٠ - ٤٨
 أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين
 العثماني ١/٧٨
 أبو محمد عبد الحق ٦٣
 أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ٧٨
 ٨١ - ٨٨ - ٩٩ - ١٠٠
 أبو محمد عبد الله بن تافراجين
 ١١٦ - ١١٧ - ١٣٢ -
 ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤ -
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠
 ٢٠٢ - ٢٠٣
 أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ١١٢
 ١١٨ - ١٢٧
 أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ١٢٠
 ١٦٧
 أبو محمد الفشتالي ١٤ - ١٩
 أبو المجد بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٤٤ - ١٤٩ - ١٧٣
 أبو المطرف بن عميرة المخزومي ١٢

- أبو معرف بن يعقوب ٥٩ - ٦٧
أبو معرف بن محمد بن عبد الحق ٩
١٠ - ١١
أبو الملوكة عبد الحق المريني ٩ - ٦٤
أبو موسى بن الامام ١٨٠
أبو موسى عيسى ١٢٦
أبو الهول بن حمزة ١٥٥
أبو الهول بن يعقوب ١٦١
أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن
فلان ١٤١
أبو يحيى بن أبي الصبر ٩٠ - ٩٦
٩٧
أبو يحيى بن عيسى بن علي بن أبي
الطلاق ٢٠٠
أبو يحيى القطراني ١٩ - ٣٦
أبو يعقوب الاشقر ٨٩ - ٩٠
١٧٨
الاتبج ٣١ - ٥٩
أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ١٥٩
أحمد بن حمزة ١٥٩
أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي
٢٠١
أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح
١٢٩
أحمد يوسف بن مزني ٢٠٤
ادريس بن عبد الحق ٧ - ٢٣٩
٨٨
ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ٩٨
ادريس بن عثمان بن أبي العلاء ١٦٥
٢٠٣
اسحق ٢٧
الاشراف العلويون ٨٨
الاصنيول ٢١
اعراب افريقية ١٥٥
الاغزاز ١٣
الاکراد ٦١
أم العز ابنة محمد بن حازم العلوي ٥٨
أهل أزغار ١٠ - ٣٢
أهل الاندلس ٣٢ - ٣٩ - ٤٨
١٥٣ - ١٠٠ - ١٠٩ - ١٤٢
أهل بجاية ١٦٣
أهل بلاد الجريد ١٧٠
أهل تاونت ٧٩
أهل تلمسان ٨٥
أهل تونس ١٠٧
أهل الحرمين ١٤٧
أهل الجزيرة ٥١ - ٥٢ - ١٣٨
أهل سبتة ٨٢ - ١٠٠ - ١١٣
١١٥ - ١٦٥
أهل طريف ٧١
أهل طنجة ٣٥
أهل العدوة ٣٠ - ٩٥
أهل غرناطة ١٠٩
أهل فاس ١٥ - ١٦ - ١٠٤

- أهل قسنطينة ١٦٣
 أهل مالى ١٦٣
 أهل المغرب ١١-٢٨-٣٢-٣١
 ٥٩-٦٠-٦٩-٧٠-٨٢
 ٨٣-١٣٥-١٦٣-١٦٤
 أهل مكناسة ١٢
 أهل ندرومة ٧٩
 أوربة ١٣٩
 أولاد أبى العلاء ١٦٥
 أولاد أبى الليل ١٥٩-١٧٠
 أولاد جزار ١٥٢
 أولاد سباع بن يحيى ٢٠٤
 أولاد على ١١٣٣
 أولاد القوس ١٥٩-١٦١
 أولاد محبوب ١٧٦
 أولاد محمد ٢٠٤
 أولاد محلى ٦٧
 أولاد مهلهل ١٥٥-١٥٩
 ١٦١-١٦٢-٢٠٢-٢٠٣
 الوليد بن عبد الملك ٩
 حرف «ب»
 البربر ٣-٣٠-٣٦
 البرتقال ١٣٦
 برنيس الفرنجى ٣٢
 بطرة بن سانجة ١٠٨
 بطوية ٩
- بهلولة ٩
 بنو أبى حفص ٢٨-٨٠
 ١١٦-١٢٣
 بنو أبى العلاء ١٢٣-١٣٩
 بنو أبى عياد بن عبد الحق ٣٠
 بنو أبى الليل ١٦١-٢٠٢
 بنو الاحمر ٩٨-١١٣-٣٩
 ٢٠٢
 بنو ادريس بن عبد الحق ٢٣
 ٢٩
 بنو ادريس بن يعقوب ٦٧
 بنو أذفونس ٨٢
 بنو أشقيلولة ٤٩-٥٣-٦٨
 بنو أمية ٧٥
 بنو أيوب ٨٣
 بنو توجين ٢٠-٣٣-٥٤
 ١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٦٠
 ١٦٣-
 بنو تيربعين ٩٢-١٢٠
 بنو جابر ١٨-٣١-٩٤
 بنو جشم ١٥٨
 بنو حكيم ١٥٩
 بنو حمزة بن عمر ١٥٥-١٦٢
 ١٧٠
 بنو راشد ٣٢
 بنو رحو بن عبد الحق ٢٩
 بنو زغبة ١٢٧-١٣٣-١٥٣

٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٠ - ١٩	١٢٤ - ١١٩ - ٩٧	بنو زيان
٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٢ - ٢٨	١٧٢ - ١٥١ - ١٢٥	
٥٢ - ٤٨ - ٤٣ - ٣٩ - ٣٨	٧٤	بنو سعيد
٧١ - ٦٨ - ٦٦ - ٥٩ - ٥٦ - ٥٤	١٥٨	بنو سليم
٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٧٦ - ٧٢	١٣٣	بنو سويد
١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٧	١٣٣	بنو عامر
١٠٦ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢	٣٠ - ٢٩ - ٢٠	بنو عبد الحق
١١٤ - ١١٢ - ١٠٩ - ١٠٨	٧٢ - ٦٧	
١١٩ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٦	٢٩	بنو عبد الله بن عبد الحق
١٣٦ - ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣	٢٠ - ١٦ - ٣	بنو عبد الواد
١٦١ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦	٤٣ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٢ - ٢٦	
١٧٣ - ١٧٢ - ١٦٦ - ١٦٣	٩٢ - ٨٥ - ٨١ - ٧٦ - ٥٤	
٢٠٢ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٨٣	١٦٣ - ١٦٠ - ١٢٦ - ١٢٥	
٢٠٣	١٨٣ - ١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤	
بنو مسكين ١٥٩	١٩١	
بنو معقل ٣٦ - ١٥٢	بنو عثمان بن أبي العلاء ١٢١	
بنو واسين ١٢٦	بنو العزفي ٨٢ - ٩٠ - ١١٣	
بنو هلال ١٢٧ - ١٣٤	١١٥	
بنو ورتاجين ٨٧	بنو عبد المومن ١٢ - ١٤	
بنو الوزير ٧٢ - ١٨٤	٣٤ - ٣١ - ٢٨ - ٢٧ - ١٥	
بنو وطاس ١٣ - ٧٢	٤٣ - ٧٢ - ٧٧ - ١٠٩	
بنو وقاصة ٨٠ - ٩٩	بنو عسكر ٧ - ٧٧ - ٧٩ - ١٢٤	
بنو نكاسن ١٧٢	١٥٦	
بنو يدلتن ١٢٥	بنو كعب ١٥٩ - ١٦٦ - ٢٠٢	
بنو يزناسن ١٣ - ١٣٣	بنو مرين ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -	
بنو يغمراسن ٩٢	٨ - ٩ - ١٠ - ١١ -	
بنو يفرن ٣	١٣ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨	

الحرّة - أخت أبي الحسن المرينى

١٤٠ - ١٤٧

الحرّة - أم المعز ابنة محمد حازم

العلوى - أم السلطان يعقوب المرينى

٨٩

الحرّة مريم ١٣٠

الحسن بن أبي عامر بن عبد الله بن

يعقوب المرينى ٩٣

الحسن بن سليمان بن يرزيكن ١٦٤

١٦٥

الحسن بن علي بن أبي الطلاق

١٠٢

حسن بن قاسم الحسنى ٨٨

الحسن بن عمر الفودودى ٢٠٤

٢٠٥

الحشم ١٢٥

الحفصيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣

١١٦٧٢ ١٣٢ ١٣٥ ١٥٧

١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٨٤

١٨٥ - ٢٠٣

حمّامة بن محمد ٤ - ٧

حمو بن يحيى العسكرى ١٥٥

حميقة بن أبي ندى ٨٣

حرف «خ»

خالد بن أبي بكر الحفصى ١٥٥

خالد بن حمزة بن عمر ١٥٥

حرف «ت»

تاشفين بن أبى الحسن ١٢٠

١٣٧ - ١٦٣ - ١٨٦

تاشفين بن أبى مالك ٥٠

تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب

المرينى ٣٩

تاشفين بن يعقوب الوطاسى ١٠٠

١٠١

الترك ٨٣

تسول ٦ - ٩

حرف (ث)

التعلبى المفسر ٦٤

حرف «ج»

جشم ١٧٣

الجلالقة ٤٥

جمال الدين ١٣٠

جمال الدين بن نباتة المصرى ١٣١

جوان ١٠٨ - ١٠٩

حرف «ح»

الحاج أبو الزبير طلحة بن يحيى

ابن محلى ٦١

الحاج المسعود ٩٣

رضوان ١٩٢
رمثة بن أبي نمي ٨٣
رياح ٧ - ٩ - ٢٣ - ١٣٤
٢٠٢

حرف «ز»

زانا بن يحيى ٤
زكارة ٩
زناتة ٣ - ٨ - ١٠ - ١٧ - ٣٢
٣٣ - ٤٠ - ٤٤ - ٨٣ - ١٠٤
١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٣٦
١٨٢ - ١٨٣
زواوة ١٨٣
زيان بن أبي عياد بن عبد الحق
٤٨ - ٥٠
زيان بن عبد الحق ٩
زيان بن عمر الوطاسي ١٣٣
زيد بن فرحون ١٣٥

حرف «س»

سانجة بن همراندة ٥٥ - ٥٦
٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
٦٦ - ٧٠ - ١١١
سدراة ٩
سعادة الخصى ٨٥
السعود بن خرباش ١٥
السعيد - على بن المامون الموحدى -

١٥٩ - ١٦١
الحضر الغري ٦١
الخطيب بن مرزوق ١٧٧
الخلط ٣١ - ٥٩
خليفة الاصغر ٨١ - ٩٩
خليفة بن أبي زيد ١٥٩ - ١٦١
خليفة بن وقاصة ٨١ - ١٠٠
خليفة بن عبد الله ١٥٩
خليل الصفدي ١٤٧

حرف «د»

داود بن السلطان يوسف ٧٤
دعد ٨٦
الدولة الاحمرية ١٢١
دولة الاندلس ١٢٣
دولة زناتة ١٢٥
الدولة المرينية ١٢١ - ١٥٨
١٦١ - ٢٠٥
دولة الموحدين ٢٢

«حرف ذ»

الذواودة ١٣٤ - ١٧٣ - ١٨٥
١٨٦ ٢٠٣ - ٢٠٤
ذوى حسان ٣١

حرف «ر»

الرشيدي بن المامون ١٠

حرف «ط»

طلحة بن محلى ٢٤ - ٤٣

حرف «ظ»

ظافر ١٥٦

حرف «ع»

عائشة ابنة أبي بكر بن يعقوب المرينى

١٣٦

عائشة ابنة أبي بكر الحفصى ١٨١

عائشة ابنة الامير أبي عطية مهلهل بن

يحيى الخلطى ١٠٣

عائشة الجزرية ١٨١

عام المشعلة ٦

عامر بن ادريس ٢٣ - ٢٨

٣٠

عامر بن فتح الله السدراتى ١١٥

١٧٧

عامر بن يحيى بن الوزير ٧٢

٧٣

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد

الحق المرينى ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣

١١٤ - ١٢٥

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق

١٦

عبد الحق بن محيو المرينى ٤ - ٥

١١ - ١٢ - ١٣ - ٧٢ - ١٢٥

سفيان ٣١ - ٥٠ - ٩٤

سليم ١٥٩ - ٢٠٢

سليمان بن داود ٢٠٠ - ٢٠٣

سليمان بن عبد الملك ٩

سليمان بن عبد الله بن السلطان يوسف

٧٤

سليمان بن عثمان بن عبد الحق ١٩

سليمان بن برزيكن ١٠٠

سوط النساء ٢٩

سويد ١٥٦ - ١٧٢

حرف «ش»

الشبانان - ٣١

شريد الفرنجى ١٥

شعيب بن مخلوف بن أبي عثمان ٩٩

شمسى الزواوية ١٢٤

شمس الضحى ١٨١

الشيخ خليل ٣٦

حرف «ص»

صخر بن موسى ١٥٦

صناكة ١٩١

صنهاجة ٣١ - ٣٩ - ١٥١ -

١٥٧ - ١٧٩ - ١٨٥

الصنهاجيون ١٨٥

- ٧-٨-٩-١٩-٢٣ عبد الرحمن بن عبد الحق ٩
عبد الرحمن الوطاسي ١١٤
عبد الحق بن يعقوب الوطاسي - رحو
١٠٢-١٠٣-١٠٤-١١٤
١٣٥ عبد السلام الاوربي ١٩
عبد العزيز بن أبي بكر الحفصي ١٥٥
عبد العزيز بن محمد القديمي ٧٨
عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاني
١٧٣ عبد الكريم بن عيسى ٧٨٧٧
عبد الله بن ابراهيم الفودودي ١٧٧
عبد الله بن أبي الحسن المريني ١٦٣
عبد الله بن عبد الحق ٩
عبد الله بن علي بن سعيد ١٦٥
١٨٦ عبد الله بن مسلم الزردالي ١٩١
عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٤
عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد
الحق المريني ٩٧
عبد الله السكسوي ١٩٠
عبد الملك بن محمد العبد السوادي
- ابن حنينة - ٣٢-٣٧
عبد الملك بن مكى ١٥٦
عبد الملك بن مروان ٩
عبد المومن بن علي ٤-٢٢-١٧٢
- عبد الواحد بن اللحياني ١٥٩
عبد الواحد بن يعقوب ٣٢
عبد الواحد السكسوي ٥١-٩٤
عبد الواحد الفودودي ٩٥
العبيديون ١٥٧
عثمان بن أبي تاشفين ١٢٥
١٢٦ عثمان بن أبي العلاء أدريس بن عبد
الحق ٨٣-٩٢-٩٥-٩٧
١٠٠-١٠٩-١٢٢-١٣٩ عثمان بن عبد الحق ٧
عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن
يغمراسن بن زيان ١٦٣-١٦٥
١٧٢ عثمان بن عفان ٧٥
عثمان بن عيسى اليرباني ١٠١
عثمان بن يحيى بن جرار ١٦٤
عثمان بن يعقوب ١٠٣
عثمان بن يغمراسن ٥٦-٦٨
٦٩-٧٦-٧٩-٨١ عثمان بن يوسف ١٠٣
عدى بن هنو الهسكوري ١٠٤
العرب ٣-٦-١١-٢٦-٣١
٣٢-٣٦-٣٩-٥٠-٤٦
٥٨-٩١-٩٥-١٠٢-١٠٤
١٠٦-١١٨-١١٩-١٢٩
١٠٦-١٥٧-١٥٨-١٦٠

على بن زيان ٢٣	١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
على بن عبد الكريم ٧٨	١٧١ - ١٧٣ - ١٨٢ - ٢٠٢
على بن عثمان بن عبد الحق ١٨	٢٠٤
على بن عمر الوطاسي ١٨٥	عرب افريقية ١٥٨
على بن غانم ١٥٢	عرب بني رغبة ٣٢
على بن محمد الهنتاتي ٧٧ - ٧٨	عرب جشم ٥٠ - ٦١ - ٩٤
على بن منصور ١٥٦	عرب الجارث ٥٠
على بن يوسف بن زريقاء ٩٧	عرب الخلط ٢٦ - ٥٩ - ١٢٧
على بن يوسف بن يزكاتن ٧٠ - ٧٧	عرب رياح ٧ - ١٠ - ٩٤
عمر بن أبي بكر الحفصي ١٥٤	١٧٣
١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٩	عرب سليم ١٥٥
عمر بن حمزة ١٦٢ - ١٧٠	عرب سويد ١٢٥ - ١٥٣ - ١٧١
عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق	١٧٣
١٠١	عرب العاصم ٣١ - ٥٩ - ٩٤
عمر بن السعود بن خرباش ٧٥	عرب مقل ٦٧
عمر بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٩	عرب المغرب الاقصى ١٥٨
عمر بن عثمان ١٢٥	عرب المنبات ٣٦ - ٣٧
عمر بن علي الوطاسي ١٨٤	العرب الهالليون ٣
عمر بن موسى الفودودي ١٠٣	عريف بن يحيى ١٢٥ - ١٢٧
عمر بن يحيى بن محلي ٤٨ - ٥٠	١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٢
٦١	العزفي ٣٨ - ٥٩ - ١٢٥
عمر بن يحيى بن الوزير ٧٢	عزونة أبنه أبي بكر ١٥٣
٧٣	عسكر بن تاحضريت ١٣٧ - ١٣٨
عمر بن يخلف الفودودي ١٠٦	عسكر بن محمد ٤
عنبر الخصي ١٥٢ - ١٥٣	عطية بن مهلهل ١٢٧
عنتر بن ونزمار ١٧٢	عطارد بن حاجب التميمي ٥٥
عياد بن أبي عياد الفاطمي ٦١	علان بن محمد ١٣٤ - ١٧٣

حرف «ق»

- القاضي المغيلي ١٧
قبائل بني مرين ٩٥
قبائل تازا ٨٢
قبائل الخلط ٩٤
قبائل رياح ٣٢
قبائل الريف ٨٢
قبائل زكنة ٩٤
قبائل المغرب ٣٦
قتيبة بن حمزة ١٥٩ - ١٦١
قدمية ٧٧

حرف «ك»

- كتامة ٩٩
الكموب ١٥٥
كندوز بن عثمان ١١٠
حرف «ل»

ليدة بن أبي نسي ٨٣

حرف «م»

- المتوكل العباسي ٧٤
محمد بن أبي زكرياء العزفي ١١٤
١١٥
محمد بن أبي عمرو ١٨٤
محمد بن أبي عمران ١١٦

عيسى بن جالس بن علي بن أبي الطلاق

٢٠٠

- عيسى بن عبد الكريم ٧٨
عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٧
عيسى بن ماساي ٣٣

حرف «غ»

- الغر ٥٩
غمارة ٣٩
غصالو الفرنجي ١٠٢

حرف «ف»

- فارح مولى سيد الناس ١٨٤
١٨٥
فارس بن ميمون بن وردار ٩٣٧
١٦٥ - ١٨٣ - ١٩٠ - ٢٠١
٢٠٣
فاطمة ابنة أبي بكر الحفصي ١١٧
١١٩ - ١٣٦ - ١٥٣
فتح الله السدراتي ٤٥
الفرنج ١١، ٣١ - ٣٢ - ٤١ - ٤٢
٩٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٩٣
٩٥ - ١٠٩ - ١٦٣
فشتالة ٩
الفضل بن أبي بكر الحفصي ١٥٧
١٦١ - ١٦٣
الفنش ٤٨

- محمد بن إدريس بن عبد الحق ١٠
 المخضب بن عسكر ٤
 مخلوف بن هنو الهسكوري ٩٣
 المرتضى ١٥-١٦-١٧-١٨
 محمد بن اسماعيل بن الاحمر ١٢١
 ٢٤-٢٥
 مريم أم ولد أبي سعيد المرنسي
 ١٢٩
 محمد بن الحكيم ١٣٢
 محمد بن اشقيولة ٤٨
 مرين ٤-٦٦
 محمد بن سلامة بن علي ١٢٥
 المرينيون ١٦٣-١٨٢-١٨٥
 محمد بن سيد الناس ١١٦ ١٨٥
 المستنصر بالله الحفصي ٢٨-٢٩
 محمد بن العباس بن تاحضيت ١٣٧
 ٣٥-١٧٠-١٠٨
 محمد بن عبد القوى ٣٣-٤٤
 مسعود بن أبي تاشفين ١٣٥-
 ١٢٦
 محمد بن عبد الله بن أبي الحسن ٦٨
 مسعود بن كانون السفينسي ٣٠
 ٥٤-٥٥
 محمد بن عثمان بن يغمراسن ٨١
 المشرف بن أبي عبد الرحمن المنيلي
 ١٥
 محمد بن علي بن يحيى ٢٧
 المصامدة ١١-٢٦-٢٨-٣١
 محمد بن علي بن محلي ٦٧
 ٣٩-٦٠-٧٧-٩٧-١٧٣
 محمد بن عمران ٥٩
 المعتمد بن عباد ٤٩
 محمد بن طالب ١٦١
 ١٥٢
 محمد بن المحروق ١٢١
 ٣-٢٠-١٢٤-١٦٠
 محمد بن يوسف الايكم ٢٠٢
 ٦-٩-٣٩
 محمد بن وزير ٣-٤
 ١٦٣
 المقريزي ١٤٧
 المقري ١٨١
 المثلثون ١٥١
 الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي

١٧٥	٨٣ - ٨٤ - ١٢٧ - ١٢٨ -
المنصور الموحدى ٩٠	١٣١ - ١٤٠ - ١٤٣
المهندار ١٣٠	المند ١٣٥ - ٥٢
مهلهل بن يحيى الخلطى ٦١	منديل بن حمامة ١٢٠
الموحدون ٤ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠	منديل بن محمد الكتانى ١٠٧
١٠١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٨	منسا سليمان ١٥٢ - ١٦٣
٢١ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١	منسا موسى بن أبى بكر ١٥١
٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٥٦ - ١١٧	١٥٢
١٢٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦	المنصور بن أبى مالك المرينى ١٦٤
١٦١	١٦٥
موسى بن أبى الفضل ١٣٣	منصور بن ابراهيم بن الحاج ١٨٥
موسى بن ابراهيم اليرباني ١٣٧	منصور بن الحاج خلوق اليبانسى
موسى بن السبتى ٨١	٢٠٢
موسى بن سعيد الصيحي ٩٣	المنصور بن عبد الكريم ٧٨
موسى بن على الهنتاسى ١١١	المنصور بن عبد الواحد بن يعقوب ٧٢
١٢٥	٧٣
ميمون بن بكرون الحفصى ١٣٩	المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ٤
ميمون بن على ٢٠٤	٨ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩
حرف «ن»	٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
الناصر ٤	٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠
الناصر بن أبى الحسن المرينى ١٧١	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦
١٧٢	٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب	٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣	٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣
٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤	٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١
٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١	٦٢ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٨
	٨٩ - ١٠٧ - ١١١ - ١٤٠

يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين

٢٠٣ - ٢٠٢

يحيى بن عبد الله بن وانودين

يحيى بن موسى ١١٦ - ١٢٤

يحيى بن حازم العلوى

يحيى الرندامى ١١٥

يزيد بن عبد الملك ٩

يعقوب بن آصناك ٩٣ - ٩٤

يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ٢١

٢٢ - ٢٤

يعقوب بن على ١٣٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣

يغمراسن بن زياد ١٢ - ١٣ -

١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣

٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣

٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٤ - ٥٠

٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٦٨ - ١٢٥

اليفرنى ١٧٥

يوسف بن تاشفين ٤٨ - ٤٩ - ٧٢

يوسف بن عيسى الحشمى ٩٣

١٠٣

يوسف بن قبطون ٦٠ - ٦١

يوسف بن مزنى ١٨٦ - ٢٠٤

يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد

الحق ٩٣ - ٩٥

يوسف بن يزكاسن ١٩

يوسف بن يعقوب ٩٥ - ٩٩ - ١٠٨

يوسف المنتصر ٤ - ٥

٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠

٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١

٩٩ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٢٧

١٧٨

نونة ٤٠ - ٤١

حرف «هـ»

هراندة بن سانجة ٥٨ - ٨٢

هشام بن عبد الملك ٩

هلال مولى سيد الناس ١٨٥

هتانة ٢٨ - ٧٧ - ١٧٣

هواره ٩

حرف (و)

الوطاسى ١٨٥

ونزمار بن عريف يحيى ١٣٣

١٧٢

حرف (ي)

يختان بن عمر بن عبد المومن ١٧٢

يحيى بن داود ١٨٣ - ١٨٤

يحيى بن سليمان العسكرى ١٢٤

١٥٧ - ١٥٦

يحيى بن طلحة بن محلى ١٢٢

فهرس الاماكن

أصلا ٣٤ - ٣٥ - ٨٣ - ٩٦
أفراك ١/١٥

أفريقية ٥ - ١٢ - ٢٨ - ٣٤ - ٩٠

١/١٦ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٥١

١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣

١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٣ - ١٨٤

٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤

كرسيف ٥ - ١٣ - ٢٥

أم الربيع ٢٠

الاندلس ٤ - ٨ - ١٢ - ٢٣

٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤

٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧

٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥

٨٢ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨

١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٤

١١٥ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢

١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨

١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٨٦

١٩٤ - ٢٠٠

حرف «أ»

آزمور ٢١ - ٢٥

آنفا - الدار البيضاء - ٢٣ - ٥٢

آنكاد ٣٢

أبدن ٤٠ - ٥٧

أبو سليط ١٨

أبو طويل ٩٤

أرجونة ٤٧

أرض الاندلس ١٠٨

أرض الحامة ١/٥٦

أرض حمزة ١٣٣

أرض السودان ١/٥١

أرض السوس ٤٥ - ١٩٠

أرض المغرب ١٨٧

أغمات ٤٣ - ٩٤

الاسكندرية ١٢٨ - ١٦١

استجة ٦١

أسفلونة ٦٤

أشبونة ١٣٦

اشبيلية ٢٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٥

٤٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣

٧٠ - ١٣٨

حرف(ب)

- بلاد الاندلس ٧٥
 بلاد بطوية ٦ - ٢٠
 بلاد بنى بهلول ٩٠
 بلاد بنى توجين ٨٠
 بلاد بنى حسن ٨٤
 بلاد بنى عبد الواد ٨٠ - ١٠٥
 بلاد بنى يزناسن ٦٩ - ٧٢
 بلاد تادالا ١٨
 بلاد تامسنا ٢٢ - ٥٠ - ٩٤
 بلاد حاحة ٩٤
 بلاد درعة ٢٧ - ١٩١
 بلاد الحريد ١٥٥ - ١٥٩ - ١٧٠
 بلاد الريف ١٣ - ٦١ - ٧٢
 ٩٥
 بلاد الزاب ٣
 بلاد زناتة ١٥
 بلاد زواوة ١٧١
 بلاد السوس ٢٧ - ٥١ - ٥٨
 بلاد الصحراء ١١ - ١٢٨
 بلاد صنهاجة ٢٦ - ٩٤
 بلاد العرب ١٣٤
 بلاد العدو ٦٥
 بلاد غمارة ٣٠ - ٤٢ - ٦١
 ٩٥ - ١٢٦
 بلاد فازاز ١٠ - ١٥ - ١٧
 ٤٣
 بلاد القبلة ٥ - ١٩ - ٩٤ - ١٠٧
- باب تحسيت بسجلماسة ١٨
 باب الجديد ١١٢
 باب الجيزين بفاس ١٩
 باب الشريعة بتازا ٦٧
 باب الشريفة بفاس ١٧
 باب الشريفة بمراكش ٤٣
 باب الرب بمراكش ٩٤
 باب الفتوح ٧٤
 باديس ٤٢ - ٥٢
 بحر الزقاق ٧٠ - ٧١ - ١٣٨
 بجاية ٨٠ - ١١٩ - ١٣٥
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣
 ١٧١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢٠١
 البرت ٥٧
 برج دار الحرة عزونة ٩٤
 برشيك ٨٠
 بساطل الفرنتينة ١٦
 بستان المصارة ٨٩
 بسكره ١٧١ - ١٨٣ - ٢٠٤
 بسيط انكاد ١٨٢
 بسيط وجدة ١٦
 البطحاء ٨٠
 بطوية ١٩
 بغداد ٣٤

١١٨ - ١١٩	تافرجينت ٨٠
بلاد مالي ١٥٢	تافرطاست ٧ - ٢٤ - ٦٤
البلاد المراكشية ١٢٤	تافريست ٢٠
بلاد المشرق ٨٤	تالموت ٨٠
بلاد مغراوة ٨٠	تامدغوست ١٧٣
بلاد المغرب ١٠ - ١١ - ٢٠	تامزوارت ٩٤
٣٤ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٣ - ١٠٤	تامزردكت ٨٠
١٧٦	تامسنا ٣١ - ٥٠
بلاد النخيل ٣	تامنطيت ١٠٧
بلاد الهبط ١٠ - ٣٢ - ٩٤	تاويرت ٧٧ - ١٢٠
بلاد هسكورة ٦٧	تطاوين ٩٦ - ٩٧
البلد الجديد بتلمسان ١٢٤	تكساب ٨٣
البلد الجديد - فاس الجديد ١٠٦	تلمسان ٣ - ١٢ - ١٣ -
بلد الدمنة ٩٥	١٦ - ٢٥ - ٣٠ - ٣٢ -
بلد مالي ١٥٢	٣٣ - ٣٩ - ٥٤ -
بوننة ١١٦ - ١٣٥ - ١٥٣	٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٤
١٥٧ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠	٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠
نياسة ٤٠ - ٥٧	٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩١
حرف (ت)	٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
تازة ١١ - ١١/٤ - ١٩ - ٢٠	١٠٥ - ١٠٨ - ١١٦ - ١١٧
٢١ - ٢٢ - ٥٤ - ٦٩ - ٧٠	١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
٩٠ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥	١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩
١٠٦ - ١٦٥ - ١٧١	١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٣ - ١٥٥
تادلا ٢٦	١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥
تاسالت ٨٥ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤	١٧١ - ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣
	١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠
	١٩١ - ٢٠٤

جبال طرابلس ٣	تلمسان الجديدة ١٧٨
جبال بهلولة ١٧	تلمطيت ١٥٢
جبال غمارة ٢٣ - ٧٤ - ٩٢	تبككو ١٥٢
٩٥	تنس ٨٠ - ١٢٤
جبال غياثة ١١	توزر ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ٢٠٢
جبال المصامدة ١٧٣ - ١٩٠	تونس ٢٨ - ٣٥ - ٥٦ - ٦١ - ٨٠
١٩١	١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٣
جبال هسكورة ٩٣	١٣٥ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤
جبال هتاتة ١٧٣ - ١٧٤	١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩
١٨٢	١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
جبل ورغة ٦٧	١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢
جبل آصرو ٤٣	١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠٢
جبل اوراس ٣	٢٠٣
جبل أورابن ٢٠٤	تشمش ٣١
جبل بيوش ٧٥	تيكرارين ١٠٧
جبل تينملل ٤٢ - ٤٣ - ٤٤	التينة ١٠٦
٧٧	تينملل ٢٧
جبل جيلير ٢٤	حرف (ج)
جبل درن ٦٧ - ١١١ - ١٧٣	جامع الاندلس ١١٢
جبل راشد ١٧٢	جامع بن يوسف ١٧٥
جبل زالغ ١٧٩	جامع تازة ٧٥
جبل زرهون ١٢	جامع القرويين ٩٠ - ١١٢
جبل سكسيوة ٥٠ - ١٩٠	١٧٦
جبل طارق - جبل الفتاح - ٥١	جامع المنصور بمراتش ١٧٤
٥٢ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٢	جبال بنى يزنانس ١٠٥
١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٦	جبال الشرف ٤٦ - ٦١
١٥٠ - ٢٠٣	

جبل علوان ٣٠	حصون الوادي الكبير ٤٦
جبل الكندرتين ١٧٨	حصن اسطبونة ٧١
جبل وانشرس ٤٥ - ٥٤ - ١٢٥	حصن بركونة ٤٧
١٧٢	حصن بجير ٧٠
جربة ١٣٥ - ١٧٠	حصن بلمة ٤٠
الجريد ٢٠٣	حصن بني بشير ٤٧
الجزائر ٨٠ - ١٧٠ - ١٧١	حصن تازوطا ٦ - ١٣ - ٧٢
١٧٣	٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ١٨٤
الجزيرة الاندلسية ٥٣	حصن جليانة ٤٦
الجزيرة الخضراء ٣٩ - ٤٠ -	حصن الحمراء ٣٨
٤١ - ٤٢ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٨	حصن ذكوان ٦٤
٤٩ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٥ - ٥٦	حصن روطلة ٤٦
٥٧ - ٥٨ - ٦٢ - ٦٤ - ٦٥	حصن ركش ٥٩
٦٦ - ٧٠ - ٧٥ - ١٠١ -	حصن الزهراء ٤٧
١٠٤ - ١٠٧ - ١٢٢ - ١٣٧	حصن سطبونة ٧٥
١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٥ - ١٤٩	حصن شلوقة ٤٦
١٨٠	حصن الصخرات ٦٣
جزيرة كبتور ٦١	حصن فركونة ٤٧
جنوة ٧٤	حصن قطنبانة ٤٦
الجيزة ١٣٠	حصن القناطر ٥٩
جيان ٤٧ - ٥٦	حصن القليعة ٤٦
حرف (ح)	حصن علودان ٢٣ - ٩٥
الحامة ١٧٠	حصن غليانة ٤٦
الحجاز ١٢٧ - ١٥٠	حصن مرتقوط ٦٠
الحرم الشريف ١٢٧	حصن المدور ٤٠ -
حصون ملوية ١٣ - ١٤	حصن بجير ٧٠

٢٠٤ - ٢٠٢	حرف (د)
٧١ - ٧٠ - ٥٢ - ٤٩ الزقاق	الدار البيضاء - بفاس الجديد ١٠٧
١٣٦ - ١٣٥	دار الصناعة بسلا ٢٢
١١٨ - الزيتون - بناحية فاس - ١١٩	درعة ١١٨ - ١٩ - ٣٦ - ١١٠
حرف [س]	١٢٠ - ١٩١
ساحل السوس ١٨٧ - ١٩٠	الديار المصرية ١٢٨
الساقية الحمراء ٥٨	حرف (ذ)
ساقية غبولة ٢٤	ذراع الصابون ٦٩
سبتة ٢٢ - ٢٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١	حرف (ر)
٩٠ - ٨٣ - ٧٥ - ٦١ - ٦٠ - ٥٩	الرابطة ١٤
١٠٠ - ٩٧ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٤	رباط تازا ٦١ - ١٣ - ٢٦ - ٣٣
١٢٥ - ١١٥ - ١١٤ - ١١٣	٤٥ - ٦٧ - ١٠٤
١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٣٤	رباط الفتاح ٢٢ - ٢١ - ٨
٢٠٣ - ١٦٦ - ١٤٤	٢٤ - ٤٥ - ٥٨ - ٦١ - ٦٥
سبو ١٠٢	٩٤ - ١٠٤
سجلماسة ١٩ - ١٨ - ٥ - ٣	رباط المنستير ١٥٧
٦٧ - ٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٢٠	رندة ٧٥ - ٦٦ - ٤٥ - ٤٠
١١٠ - ١٠٧ - ٨٩ - ٨٨	١٠١ - ١٠٤ - ١٠٧
١٢٣ - ١٢٠ - ١١٩ - ١١١	روض المصاره ١٥١ - ١٢٠
١٧٣ - ١٧٢	روطة ٥٩
١٧٣	الريف ٩١ - ٦
سطح الجعاب ١/٥٥	حرف (ز)
٢٢ - ٢١ - ١٧ - ٣ سلا	الزباب ١٨٦ - ١٨٣ - ١٥٥
١٧٥ - ٥٢ - ٢٩ - ٢٤ - ٢٣	
٢٠٦ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٧٦	

صقيلة ١٦٦	سواحل المغرب ١٣٥ - ١٣٧
حرف [ض]	سور الأقواس بسلا ١٧٥
ضواحي افريقية ٣	السودان ١٠١ - ١٢٩
حرف [ط]	السوس ١٢٦ - ٥٤
طرابلس ١٣٥ - ١٥٥	السوس الأقصى ٣ - ٣٢ - ١٥٧
طريف ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٨	سوسة ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢
٦١ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤	سوق العطارين بفاس ١٧٩
٧٥ - ١٠٩ - ١٣٦ - ١٣٧	سيجوم ١٥٦ - ١٥٩
١٣٨ - ١٥٣ - ١٦٣ - ١٨١	حرف [ش]
طليلة ٥٦ - ٥٧ - ١٠٨	شالة ٥٨ - ٦٥ - ٨٥ - ٩٧
طنجة ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١	١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢
٥٢ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٦٦	الشام ١٢٧ - ١٥٧
٧٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٥	شدرونة ٤٧
١٥٣	الشرق ١٥٨ - ١٨٣
حرف [ع]	شرشال ٨٠
العدوة ٤٢ - ١٥٧	شرش ٤٢ - ٤٦ - ٥٧ - ٥٩
عدوة الاندلس ١٩ - ١٥٧	٦٠ - ٦١ - ٧٠
١٧٦	حرف [ص]
العدوتان ٩٤ - ١٢٦ - ١٤٠	صيرة ٧٤ - ٩٠ - ١١٧
العدوة المغربية ٣١ - ٦٠	الصحراء ٣ - ١٠٧ - ١١٠
العرائش ٣١ - ٨٣	١٧٢
عرق ١٥٢	صحراء درعة ٦٧
عقبة الجزائر بفاس ١٧٩	صحراء الزاب ٤
غلودان ٩٧	صخرة أبي بياش ١١
	صخرة عباد ٥٥

١٤٦ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٧٢

١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨

١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٩٢

٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦

فأس الجديد ١٠٧ - ١١١

١٢٤ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٨٢

٢٠١

فحص ازغار ٩٤

فرضة المجاز ٤٢ - ١٣٨

حرف [ق]

قابس ١٣٥ - ١٥٥ - ١٥٦

١٧٠ - ٢٠٢

القاهرة ٨٤

القاهرة بالسوس ١٩٠

قبة مكناسة الزيتون ٩٠

قبة الملعب ١٦٤

القرافة ١٣٠

قرطاجنة ١٧٦

قرطبة ٣٧ - ٤٦ - ٤٧ - ٥٦ - ٧٥

قرمونة ٥٩ - ٦٠ - ٦١

القرويين ٢٠٦

قرية مكول ٥٠

قسنطينة ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢

١٦٣ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٣٠١

٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤

قشتالة ٨٢

عين غبولة ٢١ - ٥٨

عين الصفا ١٣ - ٦٩ - ٧٢

عيون البركة ١٧٦

حرف [غ]

غابة المعمورة ٢٢

غدامس ٣

غرب الاندلس ١٣٦

غرناطة ٣٨ - ٤٨ - ٥٢ - ٥٣

٦٧ - ٨٢ - ١٠٩ - ١١٠

١١٣ - ١٣٦ - ١٣٧

١٦٧ - ١٨٨ - ١٩١ - ١٩٦

غساسة ١١٧

حرف [ف]

فأس ٣ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٣

١٤ - ١٥ - ١٨١٧ - ١٩ - ٢٠

٢١ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦

٢٧ - ٣١ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦

٣٨ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٥٢

٥٣ - ٥٤ - ٥٨ - ٦٦ - ٦٧

٦٩ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٩

٨٠ - ٨٨ - ٩٠ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤

٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠١ - ١٠٣

١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٠

١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤

١١٨ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٣٠

القروان ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١	القصبات ٥٤ - ٨٠
١٦٣ - ١٦٤	القصة - بظاوين ٨٩
كلمان ٢٠	القصة (تونس) ١٥٧ ١٦٩
حرف [ك]	١٧٠ - ١٨٥ - ٢٠٢
كلمان ٢٠	القصة (سبته) ١١٥
الكدرتان ٨٩	القصة - بطنجة - ٦٧
حرف [ل]	القصة بفاس ١٤ - ١٥ - ٨٩ - ١٦٤
لبلة ٦١	القصة (براكش) ٢٧ - ١٧٤
لمدية ٨٠ - ١٢٤ - ١٣٣ -	القصة (بمكاس) ٤٤
١٨٣ - ١٨٤	القصر ٦٨ - ٩٦ - ٩٩
حرف [م]	قصر الاجم ١٥٧
مازونة ٨٠	قصر كرامة ١٠ - ٢٠ - ٢٣ -
مالي ١٢٩	٨٣ - ٩٥
مالقة ٤٠ - ٤٥ - ٤٨ - ٤٩	قصر المجاز ٣٨ - ٣٩ - ٤٥
٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦١ -	٥٥ - ٥٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٨٩
٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٣ - ٨٢	قصر مصمودة ٤٢ ٥٥
١١٣	قصور نوات ٢٠٧
مالي ١٢٩	القطر المغربي ٤
مجربط ٤٦	قفصة ١٥٤ - ١٧٠
مدرسة باب حسين بسلا ١٧٥	قلعة بنى سعيد ١٣٧
مدرسة الرخام - المدرسة الصباحية	قلعة تازوطا ١٣
بفاس ١٧٦	قلعة تاغزوت ١٢٥
مدرسة الصهريج بفاس ١٧٦	قلعة تامزدكت ١٣
مدرسة العطارين بفاس ١١٢	قمارش ٤٠
	قنطرة ماريج ٨٩
	قنطرة وادي النجاة ٨٩

المسجد الجامع بتازا ٩٠	المدرسة العظمى بطالعة سلا ١٧٥
المسجد الجامع بفاس الجديد ٨٩	المدرسة العظمى بمراكش ١٧٥
مسجد الفتح ١٣٠	المدرسة الغانية بفاس ٢٠٦
مسجد القرويين ١١٣	المدينة ١٣٠ - ١٣١
مساتره ١٥٧	المدينة البيضاء - فاس الجديد ٤٤
مشروع كتامة ٩٤	٤٥ - ٨٩ - ٢٠٦
المشرق ١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٤	مدينة شريش ٤٦
١٧٥ -	مديونة ٩
مصر ٨٣ - ٨٤ - ٩٠ - ١٢٧	مراكش ٥ - ١٠ - ١٢ - ١٥
١٢٨ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٠	١٧ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
١٥٧	٢٩ - ٣١ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٢
المعاهد الشريفة ١٢٧	٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ -
معدن العوام ١٥	٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦
مغل ٣١	٥٨ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٧
المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩	٨٥ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
١٠ - ١٥ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ -	٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ - ١١٠ -
٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١	١١١ - ١٢٠ - ١٧٢ - ١٧٣
٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٤	١٧٤ - ٢٠١
٤٥ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ -	مرس بجاية ١٧٠
١٦٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦	مرسى غساسة ٧٣ - ١١٦
٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠	مرسى سبتة ١٣٦
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩	مرسى المرية ١٦٨
٩٠ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠١	مرابطة ٦٦
١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨	مرسى المنكب ١٦٨
١١٣ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤	المرية ٥١ - ١٧٦
١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٧	مرفأ سبتة ٥٢ - ١٧٦
١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨	مستغانم ٨٠

١٧٨ - ١٦٤ - ١٢٤ - ٩٢	١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦١ ١٦٠
المنكب ٥١ - ٦١	١٧٥ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠
المهدي ١٥٧ - ٢٠٢ - ٢٠٣	١٨٦ - ١٨٥ - ١٧٩ - ١٧٨
حرف [ن]	٢٠٤ - ٢٠٣ - ١٨٧
ندرومة ٧٦ - ٨٠ - ١٢٤	المغرب الثلاثة ١٦٤
١٥٥	المغرب الأقصى ٣ - ٣٥ - ٦٨
نفطة ١٧٠ - ٢٠٢	٨٨ - ١٤٤
نهر شليل ١٠٩	المغربان ١٢ - ١١٨ - ١٢٧
حرف [ه]	١٣٥
هنين ٨٠ - ١٢٤	المغرب الاوسط ٣ - ١٥١ - ١٥٥
حرف [و]	١٨٣
وادي آش ٤٠ - ٦٠	مقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي ١٠٠
وادي أبي الاجراف ١٦٥	المقرمدة ١٨ - ١٠٦
وادي أم الربيع ١٤ - ٢٤ - ٢٦	مكة ٨٣ - ١٣٠ - ١٥٨
٣٢ - ٩٣ - ٩٤ - ١٧٣	مكناسة ١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٨
وادي أم الرجلين ٢٤	٢٠ - ٧٢ - ٧٦ - ١٣٩ - ١٥٦
وادي ايسلي ١١٦ - ٣٢	١٦٥ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٩
وادي بهت ١٢	١٨٤
وادي تافنا ٥٤	مليلة ٣
وادي تلاغ ٥٤	ملوية ١٩ - ٢٠ - ٥٣ - ٧٤
وادي الزيتون ١٦٥	مليانة ٤٣ - ٨٠ - ١٢٤
وادي سبو ٧ - ١١٨ - ١٧٦	مملكة برنو ١٥١
وادي شلف ١٨٣	مملكة غانة ١٥١
وادي العبيد ٢٦	مملكة كاغو ١٥١
	مملكة المغرب ١٥١
	مملكة مالي ١٥١
	المنصورة ٨٠ - ٨٤ - ٩١ -

وانشريس ٨٠	ودغفو ٢٧
وجدة ٧٦ - ٧٧ - ٧٩	وطاط ١٣
٩٢ - ١٠٥ - ١٢٤ - ١٣٣	وطاط الحاج ١٩
١٣٤ - ١٥٥	وهزان ٨٠ - ١٢٤
حرف [ي]	الوادي الكبير ٤٥ - ٦٠
يثرب ١٥٨	وادي لك ٥٩ - ٦٣
ينبع الحجاز ٨٨	وادي ملوية ١٠٥ - ١١٠
وادي فاس ٨٩ - ١٧٦	١١٧
وادي قصر كتامة ١٧٦	وادي مكور ٦
	واقعة أم الرجلين ٢٤

فهرس الخطأ والصواب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ظواعن	ظواعن	٢٢	٣
تيربعين	ثيربعين	٣	٤
بنى	نى	٢٤	٧
شقى	شفا	١٣	٩
انحاش	انجاش	٤	١٦
فراره	فراره	٥	٢٥
كثرة	كتر	٢٣	٤١
وحرقة	وحرقه	٦	٦٠
لحقوا	لحقو	٧	٧٢
والبعث	والبعث	٨	٧٧
غاظهم	عاضهم	٨	٧٧
لحق	الحق	٦	٨٣
السلطان	السلطان	٨	١٠٠
أبا الحسن	أبا الحسين	٣	١٠٥
يوعز	يوعز	١٧	١٠٧
أغد	أغد	١٦	١١٠
المعروف	المعرف	٥	١١٣
اغذ	أغد	١٠	١٢٠
قبل	وقبل	٢١	١٢١
نقلهم	نقلهم	٧	١٢٢

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٥	٢٢	عشر	عشرة
١٢٥	٢٦	وكفت	وكفلت
١٤٠	٦	أبضا	أبضا
١٤١	٢١	رحمه	رحمة
١٤٤	٤	وقفه	وقفاه
١٤٩	٩	ازله	ازالة
١٤٩	١٣	سي	شق
١٥٠	١١	فتح	فتح
١٥٤	١٣	قاضي	قاضي
١٥٥	٢٠	بقسطنطينية	بقسطنطينية
١٦٦	١	كر	كبر
١٨١	١٩	كان السلطان	كان هذا السلطان
١٨١	١٩	وعشرته	وعشرته
١٨٢	٢١	سعا.	سعيد
١٨٨	١١	رافعوا السماء	رفعوا لسماء
١٨٨	١١	وأوضحوا السيل	واوضحوا لسيل
١٩٦	٨	أبائه	أبائه
١٩٧	١١	معتبر	بمعتبر
١٩٧	٢١	بنظر	بنظر
١٩٧	٢٣	لما	لم
١٩٩	٩	ومضار	ومدار
٢٠٦	٢٦	ذلك	وذلك

